سلسة الإصدارات والملفات البحثية الخاصة

العدد الثاني

(2)

مشروع المشترك الثقافي العربي

(الدراسات الثقافية العربية المقارنة)

سلسلة الإصدارات والملفات البحثية الخاصة

العدد الثاني (2) - أبريل 2024م

حرب غزة وصراع الروايات: جغرافيا واحدة ورؤى ثقافية متدافعة

المؤلف د. حاتم الجوهري

بيانات التوثيق والاستشهاد:

حاتم الحوهري، **حرب غزة وصراع الروايات: جغرافيا واحدة ورؤى ثقافية متدافعة**، سلسلة الإصدارت والملفات البحثية الخاصة، سلسلة غير دورية تصدر عن مشروع المشترك الثقافي العربي (الدراسات الثقافية العربية المقارنة)، العدد الثاني (2)، أبريل 2024م، القاهرة، جمهورية مصر العربية.

صفحة المشروع على موقع التواصل الاجتماعي "فيس بوك":

https://www.facebook.com/profile.php?id=100083231563902

حرب غزة وصراع الروايات: جغرافيا واحدة ورؤى ثقافية متدافعة

د.حاتم الجوهري[1]

مقدمة:

تتناول هذه الدراسة التبعات والمسارات التي فجرتها عملية "طوفان الأقصى" العسكرية؛ والتي وقعت في يوم 7 أكتوبر 2023م وما صاحبها من أحداث أشعلت الصدام الواسع مجددا مع المشروع الصهيوني ودولة الاحتلال، وما كشفت عنه العملية من تصورات الاحتلال القائمة على فكرة الإزاحة الجيوثقافية للفلسطينيين، أي النفي الناعم لروايتهم الثقافية وإنكار حقهم التاريخي في فلسطين (بنفي وجود شعب فلسطيني تاريخيا كما صرح وزراء عدة في حكومة الاحتلال في أكثر من مناسبة(1))، والنفي الخشن الواقعي لوجودهم في جغرافيا فلسطين وأرضها مع السعي لطردهم، وتهجير سكان غزة إلى مصر وسكان الضفة إلى الأردن (وفق تصريحات متكررة لحكومة الاحتلال ورئيسها نتانياهو)، وأشعلت حرب غزة التي تلت عملية "طوفان الأقصى" مأزقا عربيا وإقليميا صعبا، حيث قفزت القضية الفلسطينية في وجه الجميع متمردة على تفاهمات الاتفاقيات الإبراهيمية، وصفقة القرن الأصلية التي طرحها ترامب والصفقة المعدلة التي استكملتها إدارة بايدن بعده، لتعود مشكلة فلسطين إلى الواجهة والبحث عن حلول ممكنة لها أو أسس ومنطلقات للحلول يمكن البناء عليها، لتكون هذه مشكلة الدراسة أيضا.

لتتبدى إشكالية الدراسة في البحث عن حلول ومقاربات جديدة عادلة وناجعة للقضية الفلسطينية، حيث يتصارع الجميع على مساحة جغرافية واحدة ولكن وفق روايات ثقافية مختلفة ومتدافعة، من جهة تقف الرواية الصهيونية لدولة الاحتلال وخلفها الدعم الغربي بتصوراته الثقافية التاريخية في الصهيونية الماركسية، والصهيونية الليبرالية، والصهيونية الوجودية، ومن جهة أخرى تقف الرواية العربية التي أصبحت شديدة التمزق بين التصورات الأيديولوجية القديمة

[1] - أستاذ الدراسات الثقافية المتدب بالجامعات المصرية، مؤسس مشروع المشترك الثقافي العربي.

وبين تصورات صفقة القرن الجديدة، وبين أزمة النخبة العربية التي تبنى بعضها تصورات تروج للهزيمة الحضارية، وتبنى البعض الآخر الدعم العاطفي والعام قليل الحيلة قصير اليد، وبين قلة أخرى تحاول البحث عن رواية جديدة بعيدا عن أزمة التصورات التاريخية واستقطاباتها تحل الإشكالية وعجز مقارباتها السابقة.

وفي هذا السياق الأخير ستقدم الدراسة فرضيتها لحل إشكالية الصراع؛ فرضية تقوم على أولوية استعادة ثوابت "الجغرافيا الثقافية العربية" المشتركة بعيدا عن تكسرات الأيديولوجيا القديمة المتعددة إرث القرن العشرين، التي هي لحد بعيد ليست سوى امتدادات للمتلازمات الثقافية المرتبطة بالمسألة الأوربية ومركزيتها التاريخية واستقطاباتها، وبعيدا عن تفاهمات صفقة القرن و"الصهيونية الإبراهيمية"، التي هي إحدى أشكال الاستلاب الناعم للحق العربي الفلسطيني باسم المشترك الديني الإبراهيمي السماوي.

حيث ستفترض الدراسة أن مشكلة الصراع هي مشكلة صراع جيوثقافي بالأساس، وباعتباره صراعا جيوثقافيا يقوم على حرب روايات بين راوية دولة الاحتلال وخلفها الحضارة الغربية وتصوراتها الجيوثقافية المتعددة، ورواية الفلسطينيين وخلفها رواية العرب وتصوراتهم الجيوثقافية، ستقدم الدراسة فرضية "استعادة الجغرافيا الثقافية" أولا، أي أنها من ضمن الأطروحات المتعددة لمقاربة القضية الفلسطينية وسبل حلها، ستطرح فرضية مقاربة "التأسيس الجيوثقافي" للحق الفلسطيني بوصفه قيمة ثقافية يتفق عليها الجميع، بعيدا عن مقاربات التيارات الأيديولوجية إرث القرن العشرين التي فجرت تناقضات المشكلة أكثر ولم تحلها، لتكون تلك المقاربة من وجهة نظر الدراسة حجر الزاوية الذي يمكن البناء عليه مستقبلا، والحل لمشكلة تعقد حلول القضية الفلسطينية وإشكاليتها التي فجرتها عملية طوفان الأقصى.

وسوف تستخدم الدراسة منهج "الدرس الثقافي" متتبعة جذور الصراع بين الروايتين العربية والصهيونية، وأين يكمن جذر الصراع والقيمة المركزية له في الغرب وعند الصهيونية (إسرائيل بوصفها ممثلة للحضارة الغربية)، لتحاول تقديم قيمة مركزية مضادة له تفكك جذور هذا الصراع (فلسطين بوصفها الحجر الجيوثقافي الأساس للذات العربية ومستودع هويتها)، من ثم يمكن التأسيس على هذه القيمة الجيوثقافية الجديدة لتكون منطلقا للتأكيد على الحق الفلسطيني وفي حاضنته العربية و"مستودع هويتها"، للوصول إلى تفاهمات عادلة تحفظ للرواية الفلسطينية العربية حقها في الوجود، الذي تغولت عليه تفاهمات "الاتفاقيات الإبراهيمية".

تتكون الدراسة من خمسة مباحث رئيسية ضمت كل منها ثلاثة عناصر فرعية، وجاءت عناوين المباحث الرئيسية كالتالي؛ أولا: طوفان الأقصى جغرافيا ثقافية تتمرد على الجيوسياسي، ثانيا: رد الفعل وعملية "السيوف الحديدية" والانتقام الأعمى، ثالثا: الحرب وأزمة "الجغرافيا الثقافية" وتشقق "الجيوسياسي"، رابعا: المحور الشيعي وحسابات الصعود الجيوثقافي، خامسا: تدافع الجغرافيا الثقافية على فلسطين بين الإقليمي والدولي.

أولا: طوفان الأقصى جغرافيا ثقافية تتمرد على الجيوسياسي

1- طوفان الأقصى صدمة المكانة المستقرة لدولة الاحتلال

من المنظور الجيوسياسي التقليدي كانت كل محصلات القوة النهائية في نهاية عام 2023م تقف في غير صالح فصائل المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة المحتل، فهي منطقة محاصرة جغرافيا من جميع الجهات بلا امتداد سكني أو حدود طبيعية جغرافية حامية أو حاضنة، وعلى المستوى السياسي تفجرت كافة التناقضات في مستودع الهوية الفلسطيني، وتمثلاته السياسية بين السلطة الفلسطينية (وخلفها منظمة فتح) التي نشأت عن اتفاقيات أوسلو في تسعينيات القرن الماضي، وبين حركة المقاومة الإسلامية "حماس" وهو ما أدى إلى أن سيطرت حماس على غزة بعد صدام مسلح مع السلطة في غزة، لتنعزل السلطة في الضفة الغربية وحماس في غزة، وعلى المستوى الإقليمي تفجرت التناقضات بين "حماس" وبين الدولة المصرية في مرحلة ما بعد الثورات العربية، خاصة بعد إزاحة نظام الإخوان من مصر وأصبح هناك شبه قطيعة أو عداء مع الدولة المصرية ومؤسساتها، مع الإشارة إلى أن مصر هي قلب الجيوسياسي بالنسبة لقطاع غزة.

ورغم كل هذه المعطيات الجيوسياسية التقليدية التي لا تصب في صالح القوة العسكرية لحركة المقاومة الإسلامية، إلا أنه أخذت قرارا لا يمكن تفسيره إلا من خلال نظرية جيوثقافية عربية واختيار الدفاع عن مقدسات مستودع الهوية العربي ببعده الديني، عدما شعرت أن

المخططات الصهيونية للسيطرة على المسجد الأقصى وفق تصورات صفقة القرن القديمة قاب قوسين أو أدنى، فقامت بعملية "طوفان الأقصى" العسكرية آملة في أن يستيقظ محيطها الجيوثقافي العربي/ الإسلامي، وينفض عنه التناقضات التي تراكمت طوال الفترة الماضية، ولم يكن رهان المقاومة الفلسطينية جيوسياسيا أبدا وفق حسابات القوى التقليدية، ولكنه كان رهانا جيوثقافيا يحدث صدمة في وعي الحاضنة الجيوثقافية التي ينتمي إليها منتظرا أن تقوم بما عليها.

فجوهر العملية الحربية الفلسطينية كان المحاولة الأخيرة لوقف المخططات الصهيونية –وفق صفقة القرن والاتفاقيات الإبراهيمية– تحديدا فيما يخص مخططات السيطرة على القدس والمسجد الأقصى، خاصة في ظل جملة التناقضات التي تفجرت في الحاضنة العربية في مرحلة ما بعد الثورات العربية في العقد الماضي، وبعد غواية بعض دول الخليج للصعود الإقليمي على حساب الدول العربية المركزية القديمة، شرط تبنيها لمشروع الصهيونية الإبراهيمية وصفقة القرن، لقد كان مركز صفقة القرن والاتفاقيات الإبراهيمية الفعلي إذا استبعدنا كافة الرطانات والديباجات الزخرفية والشعارات الرنانة، يقوم على نقطتين، أولا: سيطرة دولة الاحتلال تماما على مدينة القدس العربية و"المسجد الأقصى" تحديدا، ثانيا: تنفيذ الهدف الصهيوني الدائم بعملية "الترانسفير" والتهجير ودفع الفلسطينيين إلى الاستيطان في سيناء المصرية.

لذا في شهر أكتوبر 2023م لم يكن أمام الفلسطينيين سوى حل أخير، وهو "الخيار شمشون" بهدم المعبد وتغيير قواعد اللعبة الجيوثقافية تماما، فطوال عشرات السنين تجمعت لدى المقاومة الفلسطينية خبرات متراكمة للقتال ضد "عدو متفوق" تفوقا تماما، وتراكمت لديها التكتيكات الفعالة في هذا الصدد، مستفيدة من خبرات المقاومة في لبنان، والقدرات العسكرية الإيرانية التي اكتسبت عبر السنوات الطويلة مهارة مواجهة أمريكا بصفتها "عدو متفوق"، تكاد تكون التكتيكات التي تستخدمها أمريكا هي ذاتها التي تستخدمها دولة الاحتلال. فحدث ما لم يتوقعه أحد وهو "السيناريو الغائب" بأن جمع الفلسطينيون كل خبرات السنين في عملية حربية واحدة بهدف كسر شوكة الغرور الصهيوني وردع محاولات هدم المسجد الأقصى الجدية والسيطرة الصهيونية التامة عليه.

وإذا انطلقنا من هذا الفهم بأن غرض عملية 7 أكتوبر 2023م كان ضرب صفقة القرن بعد تفكيك كل الموانع العربية والأممية أمامها، يمكن لنا تصور ما يحدث حاليا ووضع البدائل

للتعاطي معه، لأن ما يجري الآن هو محاولات لتغيير أو تأكيد المكانات المستقرة في المنطقة العربية برمتها (وفق تراتبات صفقة القرن والاتفاقيات الإبراهيمية)، واستعادة دولة الاحتلال لمكانتها ومن خلفها أمريكا والغرب، والأهم سيمكن فهم ما صرحت به دولة الاحتلال من أنه على الفلسطينيين في غزة أن ينزحوا باتجاه سيناء على لسان نتانياهو، "فخلال جلسة برلمانية مغلقة لنواب حزب الليكود الحاكم، قال نتنياهو إنه يسعى إلى وضع خطط لتنفيذ "الهجرة الطوعية" للفلسطينيين من غزة إلى دول أخرى، حسب ما نقلت صحيفة إسرائيل هايوم"[2]، ومن بعدها التجاوز الخطير وخرق القانون الدولي وقصف معبر رفح الدولي بين مصر ودولة الاحتلال.

2- انقلاب توازنات الجغرافيا الثقافية لصفقة القرن المعدلة

من وجهة نظر تدقق في الأثر العميق لعملية "طوفان الأقصى" فإنها ستكون بلا شك كسر "الحائط المسدود" الذي وصلت له البدائل الجيوثقافية العربية، وتصديها للاتفاقيات الإبراهيمية وصفقة القرن المعدلة في عهد بايدن، ومخططات السيطرة على مدينة القدس والمسجد الأقصى تحديدا، فلقد أدت تشابكات الأوضاع الإقليمية والدولية وعمليات إدارة التناقضات وتفجيرها، التي اتبعتها "إدارة ترامب" ومن بعده إدارة بايدن، إلى أن أصبحت السيناريوهات الصهيونية للسيطرة على مدينة القدس والمسجد الأقصى بلا أي رادع أو كابح فعال، خاصة بعد ارتباك البلدان العربية في مرحلة ما بعد الثورات الكبرى في العقد الماضي، وبعد تفجر التناقضات المحيطة بها لصالح مشاكل داخلية، أو ثنائية، أو مشاريع جيوثقافية إقليمية أخرى متنافسة معها (التمدد الإيراني- المركزية العنصرية السوداء مع أثيوبيا- التمدد التركي).

من ثم يبدو أن المقاومة الفلسطينية -بغض النظر عن هويتها السياسية والاستقطابات المرتبطة بها- وجدت أنه لم يعد أمامها من خيار سوى "الخيار صفر"، والعودة للمواجهة المفتوحة، وإعادة تأسيس قواعد الاشتباك السياسي والعسكري مع التمدد الصهيوني شديد التبجح والتوحش، فنحن أمام عملية عسكرية نوعية شاملة تماثل إعلان الحرب على دولة الاحتلال ومستوطناتها القريبة من غزة، دفعت "إسرائيل" لتعلن حالة الحرب للمرة الأولى منذ مدة طويلة، عملية حدث فيها إبرار جوي وقصف صاروخي واستيلاء على معدات عسكرية وأسرى بالعشرات.

والدليل الأبرز هنا؛ هو حسن اختيار المقاومة الفلسطينية لموعد العملية العسكرية في اليوبيل الذهبي لذكرى حرب أكتوبر، وفي يوم سبت أيضا تماما كما كانت حرب عام 1973م، مع التقديرات التي كانت ترى أن دولة الاحتلال تمهد لاقتحام لاقتحام المسجد الأقصى بشكل نهائي، وربما بناء الهيكل اليهودي مكانه مجددا، لتقلب العملية العسكرية معظم التوازنات والتفاهمات التي ارتبطت بصفقة القرن والاتفاقيات الإبراهيمية، وتبدو وكأنها تغيير قواعد الاشتباك الجيوثقافي مع دولة الاحتلال بأنه رغم تفوقها الجيوسياسي، لتطرح أن هناك خطوط جيوثقافية عربية يجب عدم تخطيها.

لتصبح العملية العسكرية مشكلة للنفوذ "الإسرائيلي" المتصاعد، وشرخا كبيرا يفكك قدرتها المدعومة غربيا على تفجير التناقضات العربية وإدارتها لصالح مشروع الاتفاقيات الإبراهيمية وجيوثقافيته، والهيمنة الناعمة الجديدة على العرب وفرض الأمر الواقع، إذ بدت العملية العسكرية الفلسطينية فرصة استراتيجية مهمة ومناسبة للغاية للتقدم للأمام، وتجاوز التناقضات التي تفجرت على كافة مستويات "مستودع الهوية" العربي وتفاهمات مرحلة دونالد ترامب، ومن جهة أخرى دفعت الدول العربية لضرورة السعي لإنشاء مظلة سياسية صلبة وقوية لدعم الحق الفلسطيني والمسار المسدود الذي وصلت له مع صفقة القرن والاتفاقيات الإبراهيمية، مظلة سياسية عربية تستعيد الخطوط الحمراء في القصية الفلسطينية، تعيد تأسيس الثوابت العربية بقدر المستطاع في مواجهة الاحتلال ومشاريعه في القدس تحديدا، وتخفيض سقف المخططات المرتبطة بصفقة القرن والاتفاقيات الإبراهيمية، بنسختيها الجمهورية مع ترامب أو الديمقراطية مع بايدن.

وعلى الصعيد الفلسطيني الداخلي قدمت عملية "طوفان الأقصى" مشتركا للحركة الوطنية وهدفا جامعا مرحليا، وربما هذا أقصى ما يمكن الحصول عليه حاليا في ظل الظرفية التاريخية الراهنة وتناقضاتها الفلسطينية المتنوعة، إلى حين إعادة تأسيس مشتركات سياسية عربية جديدة تتجاوز استقطابات القرن العشرين، وإرثها الذي وصل لمرحلة اليأس من الإصلاح وفق تصورات البعض. وعلى الصعيد العربي ربما تكون بادرة لتأسيس مشترك ثقافي عام جديد بعد تناقضات صفقة القرن والاتفاقيات الإبراهيمية، وتضارب السياسات العربية في معظم الملفات الإقليمية لصالح الأجندات الدولية والمشاريع الإقليمية المتدافعة مع الذات العربية، وفي القلب منها مواجهة التمدد الصهيوني وشبكة علاقاته الدولية والإقليمية المتصاعدة، وكسر "حائط الانسداد" الذي وصلت له مقاربات التصدي للاتفاقيات الإبراهيمية، والاستيلاء على "بيت المقدس" والمسجد الأقصى.

3- الجغرافيا الثقافية لـ"طوفان الأقصى" وغياب الرواية الداعمة

كانت أبرز نقاط الضعف التي ربما لم تعد لها المقاومة الفلسطينية العدة، هي غياب الرواية الإعلامية الكلية ليوم عملية طوفان الأقصى العسكرية 7 أكتوبر، فحدثت فجوة بين التمدد الجغرافي والعسكري وتغطيته الإعلامية وروايته الثقافية الذائعة عالميا، ورغم إذاعة بعض اللقطات للعملية العسكرية إلا أن الرواية التي قدمتها دولة الاحتلال للعالم أصبحت لفترة طويلة وفي بداية حرب غزة عقبة في سبيل وقف جرائم الحرب تجاه الشعب الفلسطيني، ورغم ان حركة حماس قامت بعمل إعلامي مكثف بعد عملية طوفان الأقصى وعندما قامت قوات الاحتلال بالدخول البري لغزة، مدلية ببيانات ولقطات مصورة لعمليات رجال المقاومة، إلا أنها المكتب السياسي للحركة لم يلتفت لأهمية تقديم رواية كلية ليوم 7 أكتوبر تنفي ما روجت له دولة الاحتلال حتى وقت متأخر من عام 2024م.

وهو مع جعل العمليات العسكرية في قطاع غزة الفلسطيني تستمر مدة طويلة جاوزت الشهر ونصف قبل يتم الاتفاق على هدنة، واستمر مع العمليات سياسة المذابح التي يقوم بها جيش الاحتلال تجاه المستشفيات وتجمعات السكان المدنيين العزل ومرافق القطاع، وعجز المجتمع الدولي عن اتخاذ موقف موحد بقرار ملزم لدولة الاحتلال لوقف جرائم الحرب تجاه المواطنيين الفلسطينيين، ورفع مظلة الحماية الأمريكية/ الغربية عنها، لأن البروباجندا الأمريكية والغربية كانت تقدم رواية شديدة العدوانية والتشوه عما قامت به المقاومة الفلسطينية في يوم 7 أكتوبر الماضي في عملية طوفان الأقصى، وتقدمه بوصفه عملية إرهابية عنصرية استمرارا لممارسات "معاداة السامية" الذي قامت به دول أوربا تجاه يهود أوربا وأقلياتهم هناك، خاصة ما عُرف بالهولوكست أو المحرقة في العهد النازي من جانب ألمانيا/ هتلر، ويبررون جرائم الحرب بحجة حق دولة الاحتلال "إسرائيل" في "الدفاع عن نفسها"، حتى تنزع عن حركة المقاومة الإسلامية "حماس" قدرتها على تكرار العملية العسكرية! وللنظر جميعا التصريح الذي أدلى به جو بايدن الرئيس الأمريكي حين قال أن روسيا وحماس تحاربان دولتين ديمقراطيتين صديقيتين ويجب التصدي لهما!

كان الحائط الصلب الذي يستند عليه جيش الاحتلال في استمرار جرائم الحرب بحق أهل غزة، هي رواية الفلسطيني السفاح قاتل الأطفال والعزل في يوم 7 أكتوبر في مستوطنات محيط

غزة! ذلك رغم أن إعلام دولة الاحتلال نفسه وتحقيقاته التي أعلنت عنها جريدة هآرتس وتناولها وسائل الإعلام، قالت إن المقاومة الفلسطينية لم تكن تعرف بوجود الحفلة الضخمة يوم تنفيذ العملية العسكرية، وأن طائرة تابعة لجيش الاحتلال قصفت المدنيين، وكذلك ما تردد عن تفعيل بروتوكول هانيبال الذي ينص على عدم وقوع أسرى في يد العدو وأن الجندي المقتول خير من الجندي الأسير، وتم تسليط الضوء على كل التجاوزات التي قام بها جيش الاحتلال بنفسه وأودت بحياة بعض جنوده أو مستوطنيه.

ليصبح لزاما على المقاومة الفلسطينية أن تقدم رواية بديلة لما حدث في يوم 7 أكتوبر الماضي، تخبر العالم بـ"الجانب الآخر من القصة" (The other side of the story)، الذي هو واحد من أبجديات الثقافة الديمقراطية التي ينادي بها الإعلام الغربي ويعمل من خلالها، بما يكسر الشحن الجماهيري الذي تستخدمه إدارة بايدن (ومعه فرنسا وألمانيا وبريطانيا) لدعم جرائم الحرب وقصف المدنيين الفلسطينيين العزل، وقد جاءت الرواية الفلسطينية متأخرة كثيرا بعدما تقدمت دولة جنوب أفريقيا بقضيتها إلى المحكمة الجنائية الدولية، وفي النصف الثاني من شهر يناير عام 2024م حيث نشرت حركة "حماس" وثيقة بعنوان "هذه روايتنا" من نسختين بالعربية والإنجليزية[3]، ربما لتقدم رواية فلسطينية تستند إليها جنوب إفريقيا في قضيتها بالمحكمة الجنائية الدولية، عندما اتهمت دولة الاحتلال بممارسة الإبادة الجماعية ضد الفلسطينيين.

ثانيا: رد الفعل وعملية "السيوف الحديدية" والانتقام الأعمى

1- السيوف الحديدية وأهداف صعبة لمأزق المكانة المهتزة

كان الهدف من **عملية** "السيوف الحديدية" برمتها الذي يأتي في سياقها اجتياح قوات الاحتلال البري لقطاع غزة، هدفا جيوثقافيا مركبا، الهدف الأول للعملية العسكرية برمتها هو نفسي ومعنوي ودعائي في المقام الأول؛ يقوم على استعادة الصورة الذهنية لجيش الاحتلال "الإسرائيلي" بصفته الجيش الذي لا يقهر، حيث أن بضع مئات من رجال المقاومة الفلسطينية في عملية 7 أكتوبر المسماة "طوفان الأقصى"، استطاعت التغلب على كافة التدابير العسكرية والنقاط الحصينة في السياج المحيط بغزة، مستخدمين تكتيكات بسيطة وأسلحة خفيفة، وهناك

هدف سياسي واستراتيجي للاجتياح البري الذي يأتي بالتزامن مع القصف الجوي المركز بالأحزمة النارية؛ يسعى لدفع الفلسطينيين إلى سيناء وتنفيذ مخطط صفقة القرن،

وهذا الهدف الاستراتيجي سيصبح شيئا فشيئا مركز الصراع خاصة مع دخول الحرب عام 2024م، وتهديد جيش الاحتلال باجتياح مدينة رفح الفلسطينية ومطالبته مصر بالسيطرة على الشريط الحدودجي بينها وبين قطاع غزة المسمى محور صلاح الدين/ فيلادلفيا، ومطالبة بإجلاء الفلسطينيين من رفح لترفع مصر من نبرة خطابها ضد دولة الاحتلال في معركة دبلوماسية طاحنة، شملت التهديد بسحب السفير المصري، والتهديد بتعليق اتفاقية السلام بين مصر ودولة الاحتلال، كما رفعت حضورها العسكري قرب منذ رفح البري إلى درجة غير مسبوقة منذ توقيع الاتفلاقية بين البلدين.

إجمالا كانت وُضعت عملية "السيوف الحديدية" في مأزق صعب للغاية ففي ظل هذه الأهداف والمعطيات لا يمكن للاجتياح البري أن ينجح ويحقق الانتصار للجيوثقافية الصهيونية، لكن الأهم أن العملية العسكرية وحرب غزة منحت المجموعة العربية حدا مشتركا أدنى للعمل عليه رغم كل التناقضات الجغرافيا الثقافية المتراكمة، لتنطلق منه لدعم الرواية الفلسطينية وحقها في الحياة والإجهاز على صفقة القرن ومخططاها في القدس والمسجد الأقصى، والترانسفير وتهجير الفلسطينيين.

فلقد كان البعض يعتقد أن صفقة القرن قد انتهت بسقوط ترامب الجمهوري في الانتخابات الأمريكية الماضية ونجاح بادين الديمقراطي، ولكن على العكس من ذلك قدم بايدن والديمقراطيون نسخة خاصة بهم من صفقة القرن، وروجت إدارة بايدن للاتفاقيات الإبراهيمية، ليتضح أن البنية الثقافية العميقة للشخصية الأمريكية المتطرفة واحدة، والاختلاف قد يكون في القشرة الضحلة التي يرفعها هذا أو ذاك لكنهما يحملان وهم المسألة الأوربية القديمة وخرافة الحضارة المطلقة التي يجب أن تسيطر على الآخر دائما.. فلقد ضغط بايدن من أجل انضمام السعودية إلى الاتفاقيات الإبراهيمية، وقبلها حاول تفجير التناقضات بين العرب السنة وإيران الشيعة مروجا لحلف ناتو عربي تقوده "إسرائيل" في "اجتماع النقب" العام الماضي، وفي عهده أصبح اقتحام المسجد الأقصى فعلا اعتياديا، واستمرت أمريكا في تفجير التناقضات العربية وإدارتها كسياسة خارجية ضاغطة تُضعف البلدان العربية وتضعها تحت دائرة الخضوع والعجز دوما.

تاريخيا ظهر تيار الاستلاب العربي والترويج للجيوثقافية الصهيونية ودولتها "إسرائيل"، في فترة حملة ترشح ترامب الأولى عام 2015م مع إعلانه عن مشروع صفقة القرن، ونقل عاصمة أمريكا في دولة الاحتلال إلى "القدس"، قاد هذا التيار يوسف زيدان لكن التيار نفسه سرعان ما اتسع يمينا (ليضم بعض القرآنيين والمنفصلين عن حركة الإخوان والمتطرفين المسيحيين) ويسارا (ليضم بعض العلمانيين والليبراليين والملحدين) ويشمل كافة مطاريد الجيوثقافية العربية والمأزومين من متونها وأفكارها الرئيسية السائدة، وبعد أن قام هذا التيار بدوره انتقل تيار الاستلاب العربي إلى مستوى الدول ليصبح مركزه في دولة الإمارات العربية المتحدة، لكن تمردت السعودية عليه بعدما تشدد ترامب مع محمد بن سلمان، وضم التيار البحرين، وكذلك المغرب والسودان عبر تكتيك إدارة التناقضات في كل من البلدين، لتأتي عملية طوفان الأقصى وحرب غزة وتقلب كل تلك التفاهمات وتهز المكانة التي قد استقرت لدولة الاحتلال وتضعها في مأزق شديد، مع عجز القوة العسكرية وممارستها لمذابح إنسانية خلفت عشرات الآلاف من المدنيين العزل.

2- حرب الروايات الجيوثقافية بين الفلسطيني الضحية ومعاداة السامية

هناك إشارة مهمة للغاية توضح كيف قامت الرواية الصهيونية التي قدمتها عن عملية "طوفان الأقصى"، وهذه الإشارة هي نقطة مركزية دالة لفهم عقدة الصراع الجيوثقافية برمتها لمن لم يدرك بعد التصور الجيوثقافي للصراع العربي/ الصهيوني، وذلك في المكالمة التليفزيونية المصورة التي تناقلتها وكالات الأنباء العالمية بين رئيس دولة الاحتلال نتانياهو وبين الرئيس الأمريكي جو بايدن، في هذه المكالمة قدم نتانياهو تليخصا للرواية الجيوثقافية لإسرائيل ولماذا يدعمها الغرب، حيث قال: "إنها هجوم أستطيع أن أقول إننا لم نشهد وحشيته منذ المحرقة."[4]

وهذه الجملة هي ملخص التصور الجيوثقافي الذي قامت عليها الصهيونية، فهم يقدمون وجودهم في الأرض الفلسطينية المحتلة بصفته استمرارا لوجودهم في جغرافيا أوربا، حين قامت الثقافة الأوربية بممارسة الاضطهاد ضدهم فيما عرف بـ"معاداة السامية"، يقدمون تصورا جيوثقافيا يخاطب عقدة الذنب في العقلية الأوربية/ الغربية عما تعرضوا له هناك في الجغرافيا الأوربية والثقافية الأوربية الحاكمة لعقليتها، من ثم تتخيل العقلية الأوربية أن احتلالهم للجغرافيا العربية هو

تعويض عن اضطهادهم في الجغرافيا الأوربية، وتتصور أن الانتصار للثقافة الصهيونية هو انتصار على ثقافة النازية التي قامت بالمحرقة (الهولوكوست)، حيث يمكن القول إن الجيوثقافية الصهيونية رواية منتزعة من سياقها الجيوثقافي الغربي والأوربي، ليتم زرعها على حساب الجيوثقافة العربية أي على حساب الجغرافيا والأرض العربية، وعلى حساب الثقافة والموروث العربي الديني والتاريخي والشعبي والقومي والإنساني الشامل.

كما قال نتانياهو في المكالمة ذاتها عبر ترديد ادعاءات لم يدعمها بوقائع: "لقد تم ذبح المئات، عائلات بأكملها قضي عليها أثناء نومها، نساء قُتلن وأُغتصبن بوحشية. كما تم اختطاف أكثر من مائة شخص، بما في ذلك الأطفال. ومنذ تحدثنا آخر مرة، ازداد حجم هذا الشر. لقد أخذوا عشرات الأطفال ربطوهم وأحرقوهم، وقطعوا رؤوس الجنود"[5]، لتصبح هذه المكالمة هي الرواية السائدة في الغرب والتي استخدموها لتبرير جرائم الحرب في حق الفلسطينيين، لأن الصورة الجيوثقافية المسبقة عند العقلية الغربية/ الأوربية تمنح المستعمرين أو المستوطنين الصهاينة صورة الضحايا الأبرياء، ولم تترك للفلسطينيين سوى دور الشرير!

ولكن شيئا فشيئا ومع دخول الحرب عام 2024م والإفراج عن بعض المحتجزين من المستوطنين الصهاينة؛ بدأت تظهر رواية بديلة تفكك ادعاءات نتانياهو خاصة قطع رؤوس الأطفال واغتصاب النساء وذبح العائلات، ولكن لفترة طويلة ظل صراع الروايات بين دولة الاحتلال والفلسطينيين يميل لصالح دولة الاحتلال، مستندا إلى الأوهام والعقد الثقافية المسبقة لدى العقلية الغربية/ الأوربية، كاشفا عن الربط الذي تقوم بها العقلية الجيوثقافية الأوربية وإسقاطها رواية "معاداة السامية" التي أنتجتها الثقافة الأوربية ووقعت أحداثها في جغرافيتها، على الصراع بين العرب وبين الصهاينة على أرض فلسطين المحتلة.

فمازال هناك حائط صلب تصطدم به رواية الفلسطيني الضحية، وهو حائط الجيوثقافية القادمة من أوربا ومن الغرب، لأنه وفق التصور الجيوثقافي للظاهرة البشرية لا يمكن أن تنتصر جماعة بشرية ما على أرض الواقع دون أن تقدم رواية جيوثقافية فاعلة لوجودها ومساراته الخشنة والناعمة، ومما يجب لفت الانتباه إليه أن الجيوثقافية الصهيونية القادمة من أوربا والغرب، لها عدة مصادر ليبرالية وماركسية ووجودية وما بعد نازية، كل هذه الروايات ومصادرها تمثل حائطا صلبا، ودون مواجهة لهذه الجيوثقافية الصهيونية الكامنة في الحاضنة الأوربية، لن يتمكن العرب من سحب الغطاء الأخلاقي والثقافي عن الحشود التي أرسلتها أمريكا والغرب وسوف تستمر في

إرسالها، ولا تحقق للعدالة الإنسانية أبدا للجيوثقافية العربية على أرض فلسطين، لأن الجيوثقافية الصهيونية لا تستمد قوتها من حيث هي قائمة في الوطن العربي وثقافته وجغرافيته، إنما تستمد قوتها من جغرافية وثقافة أخرى قابعة هناك في الغرب.

3-عجز القوة والضرب المساحي للفلسطينيين بديلا

العقيدة العسكرية الخاصة بقوات الاحتلال قامت على اسطورة الجيش الذي لا يقهر، ونظرية الذراع الطويلة التي يمكن أن تضرب على مدى واسع من العراق (ضرب المفاعل النووي عام 1981م) إلى تونس (ضرب مقر منظمة التحرير عام 1985م)، وأنها يمكن أن تنقل المعركة إلى أرض العدو كما فعلت في حرب لبنان، وفي حرب عام 1967م، لكن الحقيقة المرة أن جنود الاحتلال القادمون من شتى بقاع الأرض وبثقافات عميقة مختلفة ليسوا بمثل هذه السمعة عند القتال وجها إلى وجه! وهو ما حدث عند بدء الاجتياح البري لقطاع غزة بعد عملية تمهيد نيراني كثيف يدعمها مدد من الذخائر لا ينقطع من أمريكا، وللمرة الأولى تجد قوات الاحتلال نفسها أمام قوات فدائية تتسم حسن التدريب والرغبة في التضحية بالنفس، وتجد نفسها أمام حرب مدن وشوارع، لم تستطع التكنولوجيا والأسوار أن تنفعها فيها.

وحدث ما يشبه عملية "عجز" للقوة وفشلها على الجانب الصهيوني، و"انتصار" للضعف والإمكانات البسيطة وبسالة أفراد المقاومة الفلسطينية، خاصة مع العمليات المصورة التي كان يبثها رجال المقاومة الفلسطينية لتدمير الدبابات والآليات وقنص جنود الاحتلال، مما زاد من الأزمة النفسية وعمق جراح قوات الاحتلال وزادها تخبطا، خاصة حينما استهدفت المستشفيات المدنية، وعندما اقتحمت مستشفى الشفاء بحجة أن حماس والمقاومة الفلسطينية تستخدمه استخداما عسكريا، وكم كانت فضيحتها مدوية حينما لم تجد بالمستشفى ما يثبت صحت ادعائها.

وفوجئت إسرائيل بمدى فاعلية التصنيع المحلي الفلسطيني للقذائف المضادة للآليات "ياسين 105"، كما عجزت عن تحييد عمليات الرشق الصاروخي التي تنفذها المقاومة الفلسطينية، وأدهشتها عمليات المقاومة التي تتم من المسافة صفر وتفجير الآليات عبر جنود أشباح يخرجون من باطن الأرض ويعودون إليها دون أثر، وأصبحت أنفاق حماس لغزا غير قابل للحل فهي

كانت الحل الفلسطيني المناسب بسبب غياب الطبيعة الجبلية الحاضنة للمقاومة، وتتحدث المصادر عن امتداد هذه الأنفاق لأكثر من 500 كم تحت الأرض، وفشلت ادعاءات دولة الاحتلال بأنها ستغرق أنفاق غزة بمياه البحر.

لتجد قوات احتلال نفسها عاجزة عن تحقيق أهدافها وفشلت القوة المزعومة لجيش الاحتلال، كما أن سياسة الأحزمة النارية الكانسة رغم أنها روعت المدنيين وطردتهم، إلا أن تأثيرها العسكري ظل محدودا على قوات المقاومة الفلسطينية، وكذلك استطاع الفلسطينيون الصمود ضد سياسة الحصار والتجويع لحد بعيد، رغم سياسة القتل الجماعي وتعطيل المستشفيات ومنع الوقود وقطع الاتصالات، جربت قوات الاحتلال كل ما في جعبتها من أسلحة وخطط وعتاد وسيناريوهات ولم تفلح في الانتصار لا على الجغرافيا الفلسطينية في غزة ولا على الثقافة الفلسطينية وتكسر إرادتها، لتؤكد الجيوثقافية الفلسطينية على قدرتها على كسر كل معادلات الجيوسياسية التقليدية.

ويأتي تصريح الوزير "الإسرائيلي" باستخدام السلاح النووي[6] وضرب غزة به في سياق العجز والإحباط والرغبة في الشعور بالتفوق ووهم شخصية السوبرمان الإرث التوراتي القديم والإرث الغربي الحديث الخاص بالمسألة الأوربية، هو تصريح يعبر عن "فشل القوة" وعجز آلة الحرب التي تم الترويج لها وعنها بأنها من أقوى الجيوش في العالم، وأقوى أجهزة المخابرات، فلقد كشفت عملية طوفان الأقصى زيف كل هذه الدعايات، إنها ليست حربا متكافئة بالمعنى المتعارف عليه بين جيشين نظاميين، لهما العتاد والتسليح نفسه، لكن رغم ذلك تراجع قوات الاحتلال في عمليات التوغل البري والخسائر التي يصاب بها والروح الفدائية العالية لدى رجال المقاومة وعملياتهم المصورة؛ تصيبه بالجنون وتضع آلة الدعاية والبروباجندا السياسية في مأزق شديد للغاية، خاصة في ظل بعض التقارير التي أفادت بقتل مرتزقة أسباني كان يقاتل في صفوف جيش الاحتلال الإسرائيلي! و"كشفت صحيفة "الموندو" الأسبانية النقاب عن تسلل مرتزقة إلى صفوف جيش الاحتلال ،ومن بينهم مقاتل أسباني يدعي بيدرو دياز فلوريس، والذي قال أنه تم تجنيده مقابل مبلغ نقدي كبير، ليقاتل في صفوف الجيش الإسرائيلي"[7]، بما معناه وجود مشكلة في التجنيد ومعناه وجود تهديد وجودي لهذا الكيان الهش، ومعناه أيضا وجود تمويل مفتوح لدى جيش الاحتلال.

ثالثا: الحرب وأزمة "الجغرافيا الثقافية" وتشقق "الجيوسياسي"

1- التهجير إلى سيناء وفرضية "تفكك الجيوسياسي تابعا للجيوثقافي"

حين تنظر الدراسة لأهم المتغيرات الجيوثقافية التي صاحبت طوفان الأقصى وكشفت عن نفسها بكل سفور، سنجد مطالب الجيوثقافية الخاصة بدولة الاحتلال ومناداتها بالتوسع نحو سيناء المصرية وتهجير الفلسطينيين سكان قطاع غزة إليها! وهنا يطرح السؤال المهم: لماذا استهدفت دولة الاحتلال ذلك في ظل اتفاقية السلام الرسمية بينها وبين مصر؟ فحرب عام 1973م، كانت بهدف تحرير سيناء تحديدا، كما خاضت مصر بعد ذلك التحكيم الدولي لاسترداد طابا على الحدود بين مصر وأرض فلسطين المحتلة!

ولماذا أيضا في ظل الاتفاقية نفسها التي تحظي بالضمانة والشراكة الأمريكية؛ كانت صفقة القرن الأولى في عهد ترامب تحمل الفكرة نفسها لتهجير الفلسطينيين من القطاع إلى غزة؟ ولماذا رغم إعلان الرئيس المصري عبد الفتاح السيسي في النصف الثاني عام 2019م موقفه صراحة من صفقة القرن والالتزام بقرارات الأمم المتحدة ذات الصلة بحل الدولتين، ورفض وجود سيناء ضمن تسريبات الصفقة.. لماذ أعلن "الإسرائيليون" عن خطتهم لإزاحة الفلسطينيون إلى سيناء عقب عملية "طوفان الأقصى"!

تطرح الدراسة أن أبرز الفرضيات الصالحة لتفسير التغول على الجغرافيا المصرية من جانب الجيوثقافية الصهيونية هي فرضية "أن تآكل الجيوثقافي يتبعه تآكل الجيوسياسي" أو "تفكك الجيوسياسي تابعا للجيوثقافي"، بمعنى أن تخلي مصر عن الالتزام الثقافي القوي تجاه قضية فلسطين مع توقيع اتفاقية كامب دافيد منفردة نهاية سبعينيات القرن الماضي وما تبعه من سياسات، ثم تمرير البعض –في ظل تناقضات ما بعد إزاحة الإخوان– لتيار الاستلاب في الإعلام المصري منذ نهاية عام 2015م مروجا للتخلي عن القدس (وعلى رأس هذا التيار يوسف زيدان)، تواكبا مع حملة دونالد ترامب الانتخابية آنذاك وحديثه عن صفقة القرن ونقل السفارة الأمريكية إلى القدس، هذا التآكل للجيوثقافية المصرية وتخليها عن التزامها بالدفاع عن ثوابت "مستودع هويتها"، وإيمان البعض في المؤسسة المصرية بفلسفة أو استراتيجية "الحدود الدنيا" لعبور مرحلة تدافعات ما بعد إزاحة الإخوان، أقام قناعة لدى الجيوثقافية الصهيونية ومن

خلفها أمريكا بإمكانية التمدد على حساب الجيوثقافية المصرية والتزامها تجاه مستودع هوية الذات العربية، خاصة مع الشعور بالأزمة والاختناق الاقتصادي والسياسي والاجتماعي في مصر.

من هنا كان تغول الجيوثقافية الصهيونية على حساب الجيوثقافية المصرية ودفع الفلسطينيين للهجرة باتجاه سيناء، والذي ظهر للعلن مباشرة عند أول محك للتمدد الجيوعسكري والجيوثقافي للمقاومة الفلسطينية في قطاع غزة، حيث من خلال هذه الفرضية عن "تآكل الجيوساسي تابعا لتآكل الجيوثقافي" يمكن للدراسة وضع الإطار العام للصورة الكلية عن علاقة مصر بجيوثقافيته التاريخية خلال الفترة الماضية، حيث يتبدى لنا أن التناقضات التي حدثت في سردية الذات العربية في القرن الماضي وصولا للحظة التاريخية الحالية فيما بعد الثورات العربية؛ أدت إلى تراجع مصر على مستوى السردية المركزية الخاصة بها فلم تمنح الجغرافيا الثقافية دورها الوظيفي بصفتها المادة اللاصقة للجغرافيا السياسية في محيطها القريب.

وسمحت للتناقضات المتنوعة مع التمدد التركي/ العثماني الجديد، والتمدد الإيراني/ الشيعي، والتمدد الصهيوني/ الإبراهيمي بالقفز على جغرافيتها الثقافية في علاقتها بقضية فلسطين ومستودع هويتها خاصة فيما يخص المسجد الأقصى... وهذا التراجع أو التآكل على مستوى الجغرافيا الثقافية سرعان ما أعلن عن نفسه وقفز في وجه مصر عندما قامت المقاومة الفلسطينية بعملية 7 أكتوبر..؛ لينتقل النمط في التعبير عن نفسه من الجغرافيا الثقافية إلى الجغرافيا السياسية، ومطالبة "إسرائيل" بالتمدد الجغرافي في النطاق الواقعي والاستحواذ على الأرض التي قدمت لها جغرافيا ثقافية مع صفقة القرن و"الصهيونية الإبراهيمية"، ومطالب التوسع الجغرافي وإزاحة الفلسطينيين في غزة إلى مصر.

وترى الدراسة أن انفجار الجغرافيا السياسية مسلمة حتمية عند انفجار الجغرافيا الثقافية الجامعة، أي بوضوح أكثر للفرضية التي تطرحها الدراسة في موضوع الأمن القومي العربي والمصري في القرن الحادي والعشرين، أن تراجع الاهتمام بالجغرافيا الثقافية وإهمال دورها أدى لانفجار الجغرافيا السياسية بالتبعية، ومطالبة القوة الصاعدة أو السردية الثقافية الصاعدة (أي الصهيونية الإبراهيمية) بما لها، وإزاحة الفلسطينيين جغرافيا إلى مصر.. حيث تؤكد الفرضية أن كل انتشار وتمدد لجغرافيا ثقافية لابد أن يصحبه تمدد وحضور في الجغرافيا السياسية، وأنه عندما أهملت مصر الحضور الثقافي وجغرافيته في فلسطين تحت وطأة سردية السلام والتطبيع

في القرن الماضي، وتحت وطأة تناقضات ما بعد إزاحة الإخوان حديثا.. فإن التمدد الحغرافي للصهيونية الإبراهيمية كان سيحقق عاجلا او آجلا إزاحة في الجغرافيا السياسية الواقعية لصالحه.

2- الفرضية المضادة واستعادة الجغرافيا الثقافية الجامعة لحضورها

من أبرز ما يمكن للدراسة أن ترصده دليلا على صحة الفرضية النظرية الخاصة بـ"تفكك الجيوسياسي تابعا للجيوثقافي"، وعلى التصحيح الطبيعي والتلقائي للنمط الجيوثقافي دفاعا عن مكونات مستودع هويته، هو سرعة تغير الجيوثقافية المصرية تجاه القضية الفلسطينية ومشروع تهجير الفلسطينيين إلى سيناء، والذي وصل إلى ذروته عندما انتقل رئيس الوزراء المصري من المقر الجغرافي للحكومة في العاصمة الإدارية، وأعلن من من قلب الحدث الجغرافي من رفح المصرية عن موقف ثقافي مصري واضح لا لبس فيه يرفض تصفية القضية الفلسطينية على حساب تهجير الفلسطينيين إلى سيناء[8]، ليكون الأمر اوضح ما يكون في استجابته الجيوثقافية للتمدد الجيوثقافي الصهيوني.

كما وفي سبيل عملية التصحيح الجيوثقافي للتناقضات التي كانت قد تفجرت في الحالة المصرية، والتصحيح الذاتي للمسار، سنجد أن عملية طوفان الأقصى قد حدثت والعلاقات الجيوثقافية بين مصر وحركة المقاومة الإسلامية "حماس" ليست على أفضل ما يكون، وفي فترة كانت مصر قد قامت فيها على المستوى الجغرافي بمجموعة من الإجراءات، في المساحة الحدودية الفاصلة بين مصر وقطاع غزة ومدينة رفح، تمشيا مع تصديها للجماعات المسلحة التي انتشرت في سيناء في ظل مرحلة ما بعد إزاحة الإخوان، شملت هذه الإجراءات شبه إخلاء تام للمنطقة الحدودية من السكان على الجانب المصري.. وعلى الجانب الثقافي كان خطاب الدولة المصرية في مرحلة ما بعد إزاحة الإخوان على شبه قطيعة مع حماس ويقدمها البعض بصفتها ذراعا إخوانيا، يسقط عليها الصراع الثقافي/ السياسي مع تنظيم "الإخوان" في مصر.

لكن رغم هذه القطيعة الجيوثقافية بين مصر وحماس، استجابت مصر فورا لنداء مستودع الهوية والتزاماته بعد عملية "طوفان الأقصى"، وتجاوزت التناقضات التي تفجرت مع عدة إجراءات جيوثقافية سريعة منشأة امتدادا مصريا -على قدر الإمكان- يصنع رديفا للتمدد الفلسطيني والمواجهة التي أصبحت لا مفر منها مع قوات الاحتلال، وتجهيز المستشفيات

المصرية، ورفع درجة استعداد القوات المسلحة المصرية، وتخصيص مطار العريش لاستقبال المساعدات المخصصة لقطاع غزة المحتل، كما شملت هذه الإجراءات التي تمت على فترات متباعدة إعلان رئيس الوزراء المصري عن إعادة تعمير المنطقة الحدودية بالسكان، رغم الظروف الاقتصادية شديدة الصعوبة التي تمر بها مصر، وكافة التناقضات التي تفجرت في محيطها العام.

وكانت أبرز الاستجابابات الجيوثقافية المصرية لخلق مظلة سياسية مبكرة لعملية طوفان الأقصى، هي الدعوة لعقد قمة سلام عقدت في القاهرة، وذلك في أعقاب رد الفعل "الإسرائيلي" المنفلت بقصف المدنيين في غزة قصفا كانسا يدفعهم للجنوب باتجاه مصر، فقامت مصر بعقد قمة القاهرة للسلام مؤكدة على الثوابت الجيوثقافية للقضية الفلسطينية –متخطية تناقضات صفقة القرن– بمشاركة ممثلي الدول الإقليمية والعالمية، وحينما تعثر الاتفاق بين المشاركين العرب والدول الأوربية على بيان موحد، أصدرت الرئاسة المصرية بيانا جيوثقافيا مهما يطرح وجهة نظرها إزاء ما يحدث ويؤكد على الثوابت الفلسطينية والعربية، رغم أن الظروف الجيوسياسية لم تكن مناسبة حينها لتفعيل البيان لكنه كان تأكيد على ضبط بوصلة القاهرة المركزية وفق مستودع هويتها الجيوثقافي، واستجابة للصدمة الجيوثقافية التي أحدثتها عملية طوفان الأقصى لما هو مستقر عليه عربيا وصهيونيا وفق تناقضات المرحلة السابقة ومساراتها الجيوسياسية، وهنا كانت أبرز تمثلات نظرية الجيوثقافية العربية الجديدة حيث كانت هي الجوهر الذي ضبط الواقع الجيوساسي الراهن قدر المستطاع، على أن استكمال الطريق وضبط المسارات الجيوثقافية برمتها عند الذات العربية.

وفي الوقت نفسه رفضت القاهرة أن يكون معبر رفح ممرا لخروج بعض المحتجزين لدى المقاومة الفلسطينية دون فتحه لإغاثة غزة المحاصرة ومدها بالوقود اللازم للمستشفيات وسبل الحياة، والأدوية والأغذية وطواقم الإغاثة الطبية، وخصصت مصر مطار العريش لاستقبال كافة مواد الإغاثة المرسلة إلى رفح، وتعاملت بضبط نفس شديد إزاء الاستفزازت "الإسرائيلية" وقصفها الجانب الفلسطيني من المعبر.. وحينما استمرت الضغوط "الإسرائيلية" تجاه مخطط التهجير قام رئيس الوزراء المصري وفي جلسة استثنائية لمجلس النواب حول فلسطين ومنع تهجير الفلسطينيين وتوطينهم في سيناء، "حيث "أكد أنه في حالة أي نزوح للفلسطينيين 'سيكون لمصر رد حاسم وفق القانون الدولي'، مؤكداً أنها 'لن تتوانى في استخدام كافة الإجراءات التي تضمن

حماية وصون حدودها'. وقال رئيس الوزراء في كلمته، إن تهجير الفلسطينيين يعني تصفية القضية الفلسطينية، مؤكداً أن هذا غير مقبول تماماً"[9]

3- الصدام الجيوثقافي ومعركة رفح الحدودية وسياسة حافة الهاوية

في يوم 9 فبراير 2024م وبعد حوالي أربعة أشهر من انطلاق الحرب كانت منطقة رفح الحدودية بين مصر وفلسطين المحتلة قاب قوسين أو أدنى، من احتمالات متعددة للتماس بين جيش الاحتلال الإسرائيلي وبين القوات المصرية التي تقف دفاعا عن أرضها، وعن تهديدات الاجتياح ضد النازحين في منطقة رفح من الفلسطينيين العزل، ذلك بعد أن استمرت السياسات الأمريكية في تكتيك "حافة الهاية" وإدارة التوزان الحرج بين دولة الاحتلال "إسرائيل" بصفتها ممثل الحضارة الغربية المطلقة، وبين مصر بصفتها الدولة العربية التي شاء القدر أن تتحمل المسئولية السياسية والتاريخية لوقف مخططات صفقة القرن وتهجير الفلسطينيين إلى سيناء المصرية.

من جانبها قامت تصريحات دولة الاحتلال في الصراع على معركة رفح الحدودية بوصفها ذروة الاجتياح البر؛ وعبر سياسة حافة الهاوية على تصريحات متكررة باتخاذ خطوات من جانب جيش الاحتلال وحكومته بالتمهيد لاجتياح رفح، وقبلها فترة طويلة من الشد والجذب حول آليات السيطرة والمراقبة لمحور صلاح الدين/ فيلادلفيا، باعتباره الشريط الحدودي العازل بين مصر وحدود فلسطين المحتلة، وفي يوم 9 فبراير كانت ذروة سياسة حافة الهاوية والتصريحات التي توحي بالقيام بالعملية خلال ساعات.

على الجانب الأمريكي كانت سياسة حافة الهاوية تقوم على إدارة التوزان بين مصر ودولة الاحتلال شكلا، مع الانتصار مضمونا بالطبع لدولة الاحتلال، ومن ضمن عملية إدارة التوزان بين مصر و"إسرائيل" كانت أمريكا تصرح ضغطا على "إسرائيل" بربط الحصول على الأسلحة الأمريكية بقوانين معينة للاستخدام (مع إمهال بايدن "إسرائيل" 45 يوما لإثبات عدم انتهاكها القانون الدولي أو ستخسرالدعم العسكري الأمريكي.)، وتصريحات من بلينكن بخطورة العلمية العسكرية المرتقبة في رفح، بالإضافة إلى تصريحات لمسئولين أمريكيين تنتقد رد الفعل الأمريكي الذي سكت عن تجاوزات إسرائيل بحق الفلسطينيين مثل تشبيهم بالحيوانات، حيث "في تصريح خلال اجتماع في القيادة الجنوبية للجيش الإسرائيلي، قال غالانت: "لقد أمرت بفرض حصار

كامل على غزة. لن يكون هناك كهرباء ولا طعام. نحن نقاتل الحيوانات البشرية ونتصرف وفقا لذلك"[10]

ومن التصريحات الأمريكية التي كانت تضغط على مصر ما قاله بايدن من أن الرئيس السيسي كان يرفض فتح معبر رفح، ولكن الضغوط الأكبر على مصر كانت عبر تكتيك "إدارة التناقضات" وتفجيرها مثلما حدث مع إعلان أثيوبيا عن الاتفاق مع دولة أرض الصومال حول نفاذ أثيوبيا لميناء بحري على البحر الأحمر، وكذلك تزايد الضغوط الاقتصادية والتمويلية، مع الإعلان بالأمس عن تمديد بقاء حاملة الطائرات "باتان" وقوة التدخل السريع في شرق البحر المتوسط.

أما مصر فقد اعتمدت في المواجهة في عملية رفح العسكرية الباردة على عدة تصريحات أو خطوات، منها: التهديد بسحب السفير، التهديد بوقف العمل باتفاقية كامب دافيد للسلام واعتبار العملية العسكرية إذا تمت خرقا لها، ثم رفع الحضور العسكري المصري في المنطقة الحدودية بدرجة لم يسبق لها مثيل منذ توقيع اتفاقية السلام.

وانتهت معركة "عملية رفح" الباردة مؤقتا –التي نشبت منذ البدايات المبكرة للحرب– بأن صرح نتنياهو بأنه أخبر الطرف الأمريكي بأن اجتياح مدينة رفح قد يتم خلال أسبوعين.. ومؤقتا لأن التصور الجيوثقافي العام لنهاية الحرب وفق قوة الأطراف المختلفة لم يحسم بعد، وربما يحتاج لاستقطاب مصري جديد (مؤتمر القاهرة الثاني للسلام) ووضع الجميع أمام مسئولياته.. علما بأن تأجيل عملية الاجتياح والمراوحة حولها استمر إلى ما بعد عيد الفطر وشهر رمضان المكرم، حتى وقع التراشق الإيراني الإسرائيلي بعد قصف القنصلية الإيرانية في سوريا، ورد إيران بضربة صاروخية مركبة شملت صورايخ بالستية وصورايخ كروز ومسيرات موجهة.

لتبدو "معركة رفح الباردة" بوصفها نموذجا مصغرا للمعارك الجيوثقافية الحديثة في القرن الحادي العشرين؛ حيث يضغط كل طرف لتمرير أهدافه ويسعى لتوظيف كافة الأوراق المتاحة، لكن المشكلة أن الذات العربية انتظرت وقتا طويلا وتراجعت جغرافيتها الثقافية بشدة، حتى وصلت إلى الحد الأقرب القابل للانفجار والهزيمة الحضارية في قضيتها المركزية، لتصبح معركة "عملية رفح الباردة" درسا في السياسات البديلة، ودرسا للمستقبل الجيوثقافي والسياسات العربية البديلة التي يجب ممارستها لاستعادة الجغرافيا الثقافية العربية المتآكلة التي تمددت فيها جغرافيات ثقافية بديلة ومتنافسة على كافة المحاور.

رابعا: المحور الشيعي وحسابات الصعود الجيوثقافي

1- إيران ونمط التمدد الجيوثقافي: التنظيم- التمويل- التسليح

رغم أن الدراسة تدعو إجمالا للتعامل مع التناقضات الجيوثقافية التي تفجرت في مستودع الهوية العربي، والتي يأتي من ضمنها التدافع على السردية الإسلامية وتمثيلها بين مصر وتركيا وإيران، إلا أنه من وجهة أخرى يجب دراسة الآليات التي تمددت من خلالها الأنماط الجيوثقافية الخاصة بهما على حساب الذات العربية، مع الإشارة إلى أن التنافس والتدافع هو سنة البشر والجماعات الإنسانية الجامعة لهم، فعلى المستوى الإيراني والذي يتداخل بشدة في المجال العام لهذه الدراسة، سنجد أن هناك نمط إيراني في التمدد الجيوثقافي على حساب الذات العربية أصبح يمكن رصده بسهولة، يعتمد على تقوية الوجود الشيعي الثقافي في الدول العربية وتفجير التناقض الناعم بين السنة والشيعة في مستودع الهوية العربي، وذلك في معظم الدول التي يمكن تفجير التناقض فيها.

ويمكن رصد طريقة عمل إيران وتمددها الشيعي في البلدان العربية، حيث أن النمط الجيوثقافي الشيعي يعتمد في تمدده على ثلاثة مراحل، وهي: التنظيم- التمويل- التسليح، أي يبدأ في البداية بتكوين رأس تنظيمي عقائدي شديد القوة والصلابة، يعمل في إطار مذهبي شيعي، ثم إذا وجد الفرصة سانحة وكانت الدولة العربية التي يوجد فيها هذا التنظيم في حالة رخاوة وضعف وعدم تماسك، قام بزيادة تمويل التنظيم المذهبي ليزيد من حضوره السياسي والاجتماعي، والمرحلة الأخيرة من نمط التمدد الجيوثقافي الإيراني في جغرافيا الذات العربية، أن هذا التنظيم الشيعي يتمدد ويتم تسليحه ليصبح له وجودا جيوثقافيا وسياسيا مستقلا في الدول العربية، وللننظر في حالة جماعة الحوثي اليمنية ومراحل تطور وجودها في اليمن من التنظيم إلى التمويل وتفجير التناقض السني الشيعي وصولا إلى التسليح.

كما أن إيران اختارت لنفسها على المستوى الجيوثقافي العام اختيارا ثقافيا براقا، يقوم على تبنيها لحالة المقاومة العربية عموما لدولة الاحتلال والصهيونية، وظهر هذا التناقض الجيوثقافي

وبزغ للوجود وأصبح متمايزا عقب معاهدة السلام بين مصر و"إسرائيل"، لينتقل مركز الثقل الجيوثقافي الخاص بالمقاومة إلى إيران، خاصة منذ نهاية تسعينيات القرن الماضي وبعد انضمام الأردن إلى مسار التطبيع مع "إسرائيل"، ثم الضغوط الجيوثقافية التي مارستها أمريكا بعد زيادة نفوذها وحضورها الجغرافي في منطقة الخليج العربي بعد حرب الخليج الثانية ضد العراق، لتخسر الذات العربية حتى الخطاب الجيوثقافي الناعم الداعم للمقاومة شيئا فشيئا التي كانت تحاول الدول الخليجية الصاعدة الجديدة تقديمه، وانتقلت بالتدريج أيضا من حالة القطيعة التي كانت عليها مع مصر بسبب معاهدة السلام الممنفرد مع إسرائيل، لأن أصبحت الإمارات والبحرين (والسعودية بدرجة أقل) مراكزا جديدة للصهيونية الإبراهيمية وصفقة القرن التي ظهرت في مرحلة ما بعد الثورات العربية، لتنفرد إيران تقريبا بالاختيار الجيوثقافي لدعم المقاومة، ومعها الأذرع الخاصة بها التي استطاعت تقوية حضورها الجيوثقافي والسياسي في اليلدان العربية خاصة في ظل الفشل الجيوثقافي العربي في تقديم بدائل سياسية مقبولة لدولة ما بعد الاستقلال عن الاحتلال الأجنبي في مرحلة الثورات العربية في العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين.

ورغم التباين المذهبي المعروف بين السنة والشيعة والحركات الخاصة بكل منهما في التاريخ الإسلامي عموما وللمنطقة العربية خصوصا، إلا أن حركة المقاومة الإسلامية "حماس" سرعان ما وجدت المشترك الجيوثقافي بينها وبين إيران وأذرعها في المنطقة العربية، لأن كل منهما على المستوى الثقافي كان يتبنى اختيار مقاومة العدو الصهيوني، وكل منهما ركز جهود الجغرافية في اتجاه العدو المشترك "إسرائيل"، ومع دخول بعض الدول الخليجية تحت مظلة الصهيونية الإبراهيمية وتفكك دولة ما بعد الاستقلال في ليبيا والصدام بين مصر وكل تمددات جماعة الإخوان بما فيها "حماس"، أصبح هناك مددا يكاد يكون وحيدا لحركة المقاومة الإسلامية في فلسطين يأتي من إيران، من ثم أصبحت إيران حاضنة جيوثقافية شبه منفردة للمقاومة الفلسطينية، خاصة بعد تحول منظمة التحرير الفلسطينية إلى العمل السياسي المؤسسي في ظل اتفاقيات أوسلو التي وقعت في التسعينيات بعد تفجير التناقض العراقي الكويتي وحرب الخليج الثانية، وعودتها إلى فلسطين حالمة بالدولة لكنها وصلت إلى الطريق المسدود لا مستقبل أمامها ولا تستطيع الخروج ثانية من الأرض المحتلة، بعد اغتيال إسحاق رابين وتفكك الظرف الضاغط لحرب الخليج الثانية ومحاولة تجميل وجه أمريكا بعد احتلال العراق وضربه.

وهكذا في نهاية عام 2023م أصبحت إيران تمثل الحاضنة الجيوثقافية شبه الوحيدة للمقاومة في فلسطين، والذات العربية عموما لدولة الاحتلال متصدرة ما عرف بـ"محور المقاومة" أو

"محور الممانعة"، بما فيه النظام السوري العلوي الشيعي، بما لا يترك مجالا للشك أن إيران وبقية محور المقاومة كان على علم –بدرجات متفاوتة– بقرب قيام حركة حماس بعملية طوفان الأقصى، أو على الأقل كانت إيران قد رفعت درجة استعداد هذا المحور، وزودته بأسلحة يمكن لها أن تدعم العملية عند وقوعها.

2–حزب الله والتصعيد المحسوب للدخول في المعركة

من أبرز تمثلات التمدد الإيراني الشيعي لدى الذات العربية يأتي حزب الله اللبناني محتلا الصدارة بجدارة، ولقد بزغ هذا الحزب بعد الغزو "الإسرائيلي" للبنان في نهاية السبعينيات في عام 1982م، وبعد تفجر تناقضات لبنان في سبعينيات القرن الماضي وشيئا فشيئا سيطر حزب الله على الفضاء الشيعي في لبنان مزيحا حركة أمل الشيعية الأقدم منه، خاصة مع تزايد الدعم والتمويل والرعاية الإيرانية وصعودها بعد تفكك العراق وحرب الخليج الثانية، واتسمت مواجهات حزب الله مع دولة الاحتلال بالقوة والندية منذ تسعينيات القرن الماضي، خصوصا في مرحلة حرب العصابات التي أدت إلى انسحاب "إسرائيل" من لبنان في 24 مايو عام 2000م.

كما خاض حزب الله مواجهة جديدة وحربا مع دولة الاحتلال عام 2006م في 12 يوليو / تموز (عرفت في لبنان باسم حرب تموز)، كانت الحرب الجديدة تمددا جديدا للجيوثقافية الإيرانية الشيعية، في ظل التراجع العربي بعد سقوط بغداد عام 2003م، حيث طالب حزب الله دولة الاحتلال بإطلاق سراح الأسرى والمحتجزين اللبنانيين لديه عن طريق وسطاء، لكن انسداد المفاوضات غير المباشرة أدى لأن قام قام حزب الله بعملية عسكرية أدت إلى أسر جنود "إسرائيليين"، تبعه محاولة تدخل برى من جيش الاحتلال قابلته قوات حزب الله بالتصدي الشديد مردية ثمانية قتلى في القوة المهاجمة، مما كان فتيلا لاشتعال الحرب التي استمرت 34 يوما، وفيه حاول حزب الله تحمل تبعة التصعيد العسكري وحده مخليا مسئولية الحكومة اللبنانية، ورغم الفارق في التسليح بين الجانبين وتكتيك القصف الجوي والذراع الطويلة التي استخدمته دولة الاحتلال، إلا أن البعض رأي في صورايخ حزب الله التي قصفت المستوطنات والمدن الصهيونية ندا قويا، وطرفا فاعلا في محور المقاومة العربية كما حظت الحرب بدعم شعبي عربي متجاوزة التباين المذهبي بين مذهب السنة الذي يسود في معظم لدول العربية ومذهب الشيعة الذي ينتمي إليه حزب الله.

وبعد انتهاء الحرب خاض حزب الله مواجهة في عام 2015م في مزارع شبعا اللبنانية المحتلة مستهدفا قافلة عسكرية "إسرائيلية"، ردا على استهداف "إسرائيل لقافلة عسكرية في جنوب سوريا تابعة لحزب الله وإيران، وتعرضت صورة حزب الله وإيران إلى الاهتزاز كثيرا في المخيلة الشعبية العربية بسبب وقوفهما في مرحلة ما بعد الثورات العربية، إلى جانب قوات النظام السوري لتأتي عملية طوفان الأقصى وحرب غزة في عام 2023م محققة لحزب الله وإيران مكسبا جيوثقافيا يعيد لها بعض ما فقدته في مرحلة ما بعد الثورات العربية، حيث "بدأ حزب الله عملياته العسكرية، بعد 24 ساعة على انطلاق معركة غزة، حيث استهدف مواقع عسكرية في منطقة مزارع شبعا وتلال كفرشوبا التي يعتبرها لبنان محتلّة، وهو ما ظهر على أنه وجهة ضربة 'ضمن قواعد الاشتباك'، وفق ما يقول رئيس مركز الشرق الأوسط للدراسات، الدكتور هشام جابر، قبل أن يتوسع الاستهداف إلى تبادل للقصف وإطلاق النار، بعد مقتل عنصرين من الجهاد الإسلامي عبرا الحدود إلى جانب مجموعة أخرى، واشتبكا مع الجيش الإسرائيلي. وردّت إسرائيل بقصف موقع لحزب الله أسفرت عن مقتل 3 من عناصره، الاثنين 9 أكتوبر، مما استدرج ردوداً متبادلة، بما أدى إلى نزوح مدنيين من قرى حدودية. وفي المقابل، جرى إخلاء مستوطنات إسرائيلية إلى عمق 7 كيلومترات من المستعمرات الشمالية الحدودية مع لبنان"[11]

وبعد إندلاع الحرب بأكثر من ثلاثة أسابيع خرج الأمين العام لحزب الله حسن نصر الله بخطاب سياسي، توقع الكثيرون أن يكون مؤشرا على تحول الحرب ودخولها منعطفا جديدا، إلا أن التصورات السياسية لحزب الله ومن خلفه إيران في في قراءة المشهد الإقليمي والدولي، وتحديدا المشهد الإقليمي والحشد العسكري الغربي والرسائل التي بعثت بها أمريكا، جعلت حزب الله في خطاب حسن نصر الله يرد على دعاوي الرواية الغربية والصهيونية بأن عملية طوفان الأقصى كانت بتحريض إيراني، وجاء الخطاب سياسيا في المقام الأول يدعم المقاومة ويقف في صفها لكن بحسابات سياسية دقيقة مفتوحة على كل الاحتمالات أيضا، وراصد عدة مفاصل أدت لحدوث عملية طوفان الأقصى، حيث "اعتبر نصرالله أن السنوات الأخيرة كانت قاسية جداً في غزة وفي الضفة الغربية، وتتلخص بأربعة ملفات ضاغطة مهدت لمعركة 'طوفان الأقصى' وهي: ملف الأسرى، وملف القدس والمسجد الأقصى، والحصار على غزة، والمخاطر الجديدة في الضفة الغربية من استيطان وقتل يومي"[12]، وظل دور الحزب في تصاعد مع دخول الحرب عام 2024م.

3- اليمن والعراق: أطراف للمناوشة والإشغال العسكري الجيوثقافي

كما شهدت عملية طوفان الأقصى وحرب غزة 2023م/ 2024م ظهورا قويا لذراعين إيرانيين آخرين في فضاء الذات العربية، الأول هو جماعة الحوثيين اليمنية، والثاني هو الحشد الشعبي في العراق، وإن كان الدور والظهور اليمني أكثر مع جماعة الحوثيين أكثر بروزا من الحشد الشعبي، مع استخدام الأسلحة والصواريخ البالستية والطائرات الموجهة بعيدة المدى، وكذلك عملية احتجاز سفينة الشحن المملوكة جزئيا لـ"إسرائيل"، حيث "جاء احتجاز السفينة 'غالاكسي ليدر' وطاقمها الدولي المكوّن من 25 فرداً الأحد، بعد أيام من تهديد الحوثيين المدعومين من إيران باستهداف السفن الإسرائيلية، على خلفية الحرب بين إسرائيل وحماس"[13]

وكانت جماعة الحوثي قد بزغ نجمها بعد مشاركتها في الثورة اليمنية ضمن سياق الثورات العربية الكبرى في العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين، رغم أنها تأسست عام 1992، وقد ظهر الدعم الإيراني لها في العلن أكثر من مرة عن طريق التسليح حيث ضبط السلطات اليمنية في عام 2009 سفينة أسلحة إيرانية متوجهة إلى الحوثيين، واشتعل الصدام بينها وبين الجيش اليمني الذي اتهمها بتكوين تنظظيم مسلح على غرار حزب الله بلبنان، وتدخلت السعودية في المواجهة العسكرية بين الطرفين، غير أن الحوثيين أثبتوا فيها جدارة عسكرية ملحوظة.

ومع العقد الثاني وحالة الهشاشة والتأزم بين الرغبة الشعبية في التغيير مع الثورات العربية وعدم استجابة المؤسسات الحاكمة، استطاعت جماعة الحوثي أن تتقدم شيئا فشيئا ويزداد نفوذها، ويزداد الدعم والتمويل والصلات مع إيران، خاصة مع الصدام العسكري بين الحوثيين في عام 2012م وبين حزب الإصلاح في مدينة صنعاء، وفتح الحوثيون جبهات كثيرة حتى عام 2014 وفي عام 2015 سطروا على الحكم والقصر الجمهوري وأزاحوا الرئيس هادي عبد ربه لتندلع الحرب الأهلية في اليمن، وتتدخل السعودية والإمارات.. وصولا إلى عام 2023م وعملية طوفان الأقصى التي وجد الحوثيون فيها الفرصة مناسبة لاكتساب تأييد شعبي عربي، يجمل وجههم في مرحلة ما بعد الثورات العربية، مثلما وجد حزب الله الفرصة بعد تورطه في دعم النظام الثوري في قمع التمرد والثورة الشعبية.

أما الحشد الشعبي وفي العراق فظهر للوجود عام 2014م بمباركة حكومية لمواجهة داعش، جامعا العديد من قوات المليشيات الشعبية العراقية التي كثير منها مقرب من التيار الشيعي رغم

وجود بعض العشار السنية المسلحة داخله، مع الإشارة إلى أن الحشد الشعبي تم تشكيله استنادا إلى فتوى من المرجع الشيعي الأعلى بالعراق على السيستاني، وكان الدعم الإيراني للحشد الشعبي علنيا وبمباركة الحكومة العراقية وفي ظل التناقضات وتفجرها مع ظهور داعش أو تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام بعد ضمور القوة أو السيطرة التنظيمية لتنظيم القاعدة، الذي نشأ بالأساس تحت رعاية أمريكية ضمن دعم المجاهدين في أفغانستان للتصدي للاحتلال السوفيتي لها.

وفي أعوام 2015 و2016 و2017م حقق الحشد الشعبي تقدما في المعارك ضد داعش، غير أن التطرف قد ظهر في خضم حراك الحشد الشعبي حيث ظهرت عمليات تشبه التطهير العرقي وجرائم في مناطق السنة والمناطق المختلطة بينهم وبين الشيعة... وفي ظل تكتيك إدارة التناقضات وخلقها باستمرار الذي تستخدمه الولايات المتحدة ضد الذات العربية، أعلن بعض المسئولين الأمريكيين عن رغبتهم في تكوين تنظيمات سنية توزان التنظيمات الشيعية الموجودة ضمن الحشد الشعبي المدعوم من إيران، رغم أن أمريكا هي التي تعمدت عند وقف الحرب في حرب الخليج الثانية، أن تضع مناطق نفوذ وحظر طيران تكرس لتفكيك العراق إلى أكراد وسنة وشيعة.. إلى أن جاءت عملية طوفان الأقصى في عام 2023م، حيث وجد فيها الحشد الشعبي فرصة لتجميل صورته السلبية مثله مثل حزب الله بعد مشاركته في قمع الثورة الثورية وجماعة الحوثي وانقلابها على السلطة اليمنية، ليعلن قادته دعمهم لعملية طوفان الأقصى، حيث "أكد رئيس هيئة الحشد الشعبي العراقية فالح الفياض، أن بلاده ستقوم 'بكل الواجبات تجاه الفلسطينيين، سواء على صعيد المساعدات أو على المستوى العسكرى 'وقال.. إن 'مشروع تهجير سكان غزة بائس، ولا يمكن تطبيقه"[14]، كما تعرضت عدة قواعدة أمريكية في العراق للقصف، وهو الأمر نفسه الذي حدث في سوريا التي بها الكثير من القوات الإيرانية والجماعات الموالية لها ولحزب لله.

خامسا: تدافع الجغرافيا الثقافية على فلسطين بين الإقليمي والدولي

1- الجغرافيا الثقافية للصهيونية والغرب: جغرافيا ثقافية خارج الحدود

على مستوى الجغرافيا للثقافية والتدافع الذي تحمله في القضية الفلسطينية، والبحث في الحالة الصهيونية وروايتها والحاضنة الحاوية لها، سنجد أن جغرافيتها الثقافية تأتي من خارج المنطقة ومن الحاضنة الأوربية/ الغربية تحديدا، على تنوعها هذه الحاضنة وتباين تياراتها الثقافية، التي لو تم تفكيك هذه الرواية الحاملة لها سيكون قد تم قطع نصف الطريق لتجفيف رواية التعالي لدى دولة الاحتلال.. وعلى سبيل إقرار الواقع الأليم سنجد أن البعض يتخيل أن الصهيونية ليست سوى "صهيونية دينية" أو حركة يهودية متطرفة تستند إلى مرحلة الاصطفاء والوعد الإلهي لبني إسرائيل بأرض فلسطين في التوراة، لكن الكثير من العرب يجهلون أنه في خليفة الدعم ورواية الجغرافيا الثقافية للصهيونية التي تأتي من خارج المنطقة وحدودها، كانت توجد "صهيونية ماركسية" و"صهيونية وجودية" و"صهيونية ليبرالية"، ولكل هذه الصهيونيات لها جذورها في القيم الثقافية العميقة للغرب ووهم الحضارة المطلقة والمسألة الأوربية القديمة المستمرة حتى هذه اللحظة.

فرغم الموقف الروسي الحالي من "إسرائيل" بسبب الحرب الأوكرانية إلا أن لينين دعم تيار "الصهيونية الماركسية" الذي أسسه الروسي بيير دوف بيرخوف، واعتبر الصهيونية طليعة تقدمية في الشرق العربي ومن بعده فعل ستالين، و"الصهيونية الوجودية" ظهرت في فرنسا مع سارتر تعاطفا مع يهود فرنسا فيما بعد الحرب العالمية الثانية معتبرا أن الصهيونية أعلى وعي وجودي جماعي ليهود أوربا، واعتبر أن من يعادي الصهيونية و"إسرائيل" معاديا للسامية واليهود كما هو مستقر في القيم الثقافية العميقة للشخصية الأوربية عموما، لذا تجد مواقف فرنسا أكثر تشددا في دفاعها عن "إسرائيل".

أما الصهيونية الليبرالية فهي أعقد أنواع الصهيونية على خلاف السائد عنها، فهي ترتبط بالقيم الثقافية العميقة عن تفوق الشخصية الأوربية البروتساتنتية في مرحلتها الجرمانية أو الأنجلو ساكسون تحديدا، لذا تجد قوتها في بريطانيا وأمريكا سواء في تمثلها الديني وما عرف بالصهيونية المسيحية، أو تمثلها السياسي مع دولة الليبرالية الديمقراطية وشعاراتها الرنانة واعتبار

"إسرائيل" نموذجا ديمقراطيا، أو في تمثلها الإمبريالي القديم باعتبار "إسرائيل" مستعمرة حصينة للغرب في الشرق، وكذلك يجب الإشارة لـ"صهيونية رد الفعل تجاه النازية" القادمة من ألمانيا شديدة التعاطف مع "إسرائيل" حاليا، حيث أنه بعد الحرب العالمية الثانية وفي نوع من تكفير الذنب بعد ما قام به هتلر تجاه يهود أوربا، أصبحت ألمانيا من أشد المناصرين لدولة الاحتلال.. وهكذا تجد أن لدعم الصهيونية الحالي جذورا ثقافية عميقة في الشخصية الأوربية في روسيا وفرنسا وأمريكا وبريطانيا وألمانيا، وهو ما يجهله الكثيرون.

ووفيما يخص "الصهيونية الوجودية" هناك ما يمكن تسميته بـ"المسألة الأوربية" التي لها تمثلات كثيرة تقوم معظمها على فكرة النظرية المطلقة والحضارة النهائية، التي تجعل من نفسها مركزا لكل شيء في الكون والآخر يدور حولها، وهذا نجده في تمثلها الهيجلي أصل النظرية المطلقة والأب التاريخي للدولة الرأسمالية، وفي تمثلها الماركسي والدولة الشمولية العمالية، وبالمثل لم يختلف جان بول سارتر الفيلسوف الوجودي الشهير، فلقد اعتبر سارتر أن الذات الأوربية وقيمتها الثقافية العميقة القديمة تجاه يهود أوربا المتمثلة في معاداة السامية التاريخية، كظاهرة تصاعدت في العصور الوسطى، والاضطهاد النازي لهم في الحرب العالمية الثانية حديثا مركزا للكون ولا مركز بعده، فخرج بنظرية وجودية ليهود أوروبا ترى أن وعيهم الوجودي الفاعل العام يرتبط بتحولهم لجماعة كبرى تتمثل في الصهيونية واحتلال فلسطين، هو قدم الأمر بوصفه انتصارا ليهود أوروبا المضطهدين وتحريرا لهم من نيران أوروبا الدينية في العصور الوسطى مع معاداة السامية، ومن الاضطهاد النازي الحديث، لكنه لم يمتلك الحجاج المنطقي والفلسفي العادل لينفصل عن وهم المسألة الأوربية ومركزيته الخاصة، لينظر للعرب الفلسطينيين الذين ستقام حرية يهود أوروبا الوجودية على حسابهم! وتلك هي أزمة الشخصية الأوربية وقيمها الثقافية العميقة عامة التي تفتقد لفكرة النسبية وتعدد وجهات النظر واحترام الآخر، إنما تنظر للأمر دوما من زاوية واحدة وتتطرف في التشيع لها.. على عكس ما يروّج له البعض.

وكذلك الأمر بالنسبة "للصهيونية الماركسية" فبالمنطق نفسه لفكرة المسألة الأوربية ومركزية نسقها وظرفها الخاص وتجاهل أي ذوات إنسانية أخرى والتعالي عليها، قدم تيار "الصهيونية الماركسية" مع المنُظر الروسي اليهودي بيير دوف بيرخوف قراءة طبقية ومادية لأزمة اليهود في أوروبا وعبر التاريخ، فقال إن البناء الطبقي للجماعات اليهودية في العالم كان مشوها يقوم على مهن غير عمالية أو زراعية في المعظم ومعظمه مهن نوعية، وقال إن الحل يتمثل في تصحيح البناء الطبقي ليهود أوروبا وتحويلهم إلى مجتمع كبير قاعدته المهن العمالية والزراعية، وليس

المهن النوعية التي تتسبب في صدامهم وتنافسهم مع المجتمعات التي يعيشون وسطها، ولكن انحراف النموذج وعنصريته ستبدأ عندما يختار بيير دوف بيرخوف فلسطين ليقيم عليها مشروع الصهيونية الماركسية، حيث سيعتبر أن فلسطين هي الحق التاريخي لليهود! وأن يهود أوروبا سيقودون العرب المتخلفين في مرحلتين، المرحلة الأولى بناء الدولة المزعومة (إسرائيل) والمرحلة الثانية المشاركة في نضال باقي الدول الشيوعية لتأسيس دولة عمالية عالمية، وهو هنا لم يأخذ رأي الفلسطينيين في مشروعه، واعتبرهم بنية حضارية أقل في حاجة لممثل الحضارة الغربية (الصهيونية) ليقوم بالتحديث نيابة عنهم! في أعلى درجات التعالي والعنجهية الحضارية.

2- ذروة الارتباك الجيوثقافي الغربي والربط بين روسيا وفلسطين

يتضح أثر المسألة الأوربية/ الغربية ومتلازماتها الجيوثقافية على القضية الفلسطينية، من خلال عملية طوفان الأقصى وحرب غزة عموما، من خلال نموذج للخطاب الأمريكي بوصفه الممثل السائد للمسألة الأوربية في القرن الحادي والعشرين، وبوصف أمريكا هي القوة العالمية التي ورثت التجربة الغربية/ الأوربية وإرثها عن نظرية الحضارية المطلقة، وذلك من خلال تصريحات الرئيس الأمريكي جو بايدن في خضم الحرب وذروتها، والتي تعد أبرز دليل على تشوهات العقلية الجيوثقافية الغربية والارتباك الذهني الشديد الذي تمارسه على المستوى الثقافي/ النظري، وعلى المستوى التطبيقي، حيث في مقال رأي نشرته صحيفة "واشنطن بوست" الأمريكية: "أشار بايدن إلى أن الرئيس الروسي بوتين وحماس 'يقاتلان من أجل محو (الدولة) الديمقراطية المجاورة من على الخريطة، ويأملان انهيار الاستقرار والتكامل الإقليميين والاستفادة من الفوضى التي تترتب على ذلك"[15]،

ففي الفقرة السابقة تتبدى بكل وضوح ذهنية المسألة الأوربية الجيوثقافية التي ترى أن "إسرائيل"، وأوكرانيا الجديدة في مرحلة ما بعد تفكك الاتحاد السوفيتي، جزءا من حضارة النظرية المطلقة في تمثلها الأمريكي الليبرالي الديمقراطي، لتبرز هنا مشكلة هذه الحضارة التي تعتقد في ديمومة تمددها باستمرار، وفي ضرورة قيامها بتفكيك أي احتمال لنهضة الآخر الحضاري، وهذا سر تسمية الدراسة لها بالحضارة المطلقة أو حضارة النظرية المطلقة، التي أول من قدمها

الفيلسوف الألماني هيجل أبو الدولة الطبقية (التي عكسها تلميذه ماركس بنظرية مطلقة ومضادة لها عن الدولة غير الطبقية).

فذهنية المسألة الأوربية/ الغربية تقوم على التمدد على حساب الاخر باستمرار بحجة أنها تحمل الرسالة البشرية المطلقة عن الديمقراطية والليبرالية، وترى عدوا مشتركا في المقاومة الفلسطينية وفي التصدي الروسي الجديد لتمدد حلف الأطلنطي باتجاه حدودها من خلال أوكرانيا! وفي المقالة ذاتها استطرد بايدن، قائلا إن "العالم يواجه اليوم نقطة انعطاف، حيث ستحدد الاختيارات التي نتخذها، بما في ذلك تلك التي نتخذها في الأزمات الحالية في أوروبا والشرق الأوسط، تجاه مستقبلنا على مدى أجيال قادمة".[16]

وسر الارتباك الثقافي الذي تمارسه المسألة الأوربية وذهنيتها هنا، أنها ترى في كل تمثل سياسي مرتبط بعُقدها أو متلازماتها الثقافية القديمة مقدسا يحظر المساس به، وبالنظر إلى المستوى التاريخي سنجد أن المتلازمة الثقافية التي أنتجت الصهيونية هي عقدة "معاداة السامية" التي جرت على أرض أوربا، واضطهاد الأقليات اليهودية هناك وعقدة الذنب التي نشأت عن ذلك، أما وأمريكا والمستوطنون الأوربيون الجدد بها في بداياتها، استطاعوا أن يجدوا من خلال المذهب البروتستانتي الصلة، والقدوة في أبطال العهد القديم وتفاسيره وشروحه في "التلمود" التي تبرر لهم القتل المقدس تجاه سكان أمريكا الأصليين (الهنود الحمر)، بعيدا عن المذهب الكاثوليكي (الذي تأسس في عهد الامبراطورية الرومانية) الذي ارتبط بسماحة المسيح عليه السلام والموقف المتشدد تجاه اليهود بوصفهم قتلة المسيح عليه السلام.

ومن ثم أصبحت الصهيونية متلازمة جديدة من متلازمات المسألة الأوربية وتمثلاتها الثقافية، من يحاول المساس بها يصبح عدوا للديمقراطية والليبرالية وكل القيم التي أصبحت مقدسة/ مطلقة ترتبط بالحضارة الغربية ووهم أنها آخر الحضارات البشرية لا يوجد بعدها حضارة، ومن خلال دراسة السلوك الجيوثقافي الحديث للمسألة الأوربية تجاه فلسطين والجماعات الجيوثقافية الأخرى عموما، سنجد ظاهرة أو "نمطا تكراريا" تستخدمه السياسات الخارجية الجيوثقافية الغربية يقوم على "تفجير النمط الجيوثقافي للآخر من داخله"، حيث تعتمد الذهنية الغربية في المستوى الجيوثقافي على خلق تناقض داخل الجماعات البشرية المتنافسة معها، ثم تحول هذا التناقض الجيوثقافي إلى تناقض سياسي واقعي.

ولننظر هنا إلى كيفية استقطاب أمريكا لتايوان على المستوى الثقافي، وموقعها الجغرافي بالنسبة إلى الصين مفجرة التناقض الجيوثقافي بينهما، رغم التاريخ الجغرافي والثقافي المشترك الذي يجمعهما، ثم تتمرس حول هذا التناقض الجيوثقافي عسكريا وسياسيا، للوصول إلى ذروة الصدام تمهيدا لتفكيك احتمال الذات الصينية في الصعود الحضاري والسياسي. وبالمثل فعلت مع أوكرانيا التي قامت بتفجير المشترك الجيوثقافي بينها وبين روسيا، ليتحول إلى تناقض عسكري وسياسي انتهى لذروة الصراع والحرب بين البلدين، وتقسيم للجغرافيا، وتباين في الاختيارات الثقافية/ السياسية/ الفكرية، رغم كل ما بينهما من مشتركات ثقافية وجغرافية تاريخية.

3- الجغرافيا الثقافية للرواية الفلسطينية: جغرافيا ثقافية عربية قاصرة وجزئية

في علاقة الجغرافيا الثقافية ونظريتها بالرواية الصهيونية في حاضنتها العربية الطبيعية؛ سنجد الكثير من التناقضات حاضرة، فالجغرافيا الثقافية الحاضنة الآن للرواية الفلسطينية ومقاومتها المسلحة تأتي من خارج الجغرافيا الثقافية العربية، وتستمد المدد تحديدا من الرواية الشيعية الخاصة بإيران ومحور التمدد الخاص بها في الدول العربية الموجود في كل من العراق ولبنان واليمن وكذلك سوريا (وهو التمدد الذي قام على التمويل والتنظيم والتسليح)، في حين تتصف الجغرافيا الثقافية العربية في دعمها للرواية الفلسطينية عموما –وليس المقاومة فقط– بالقصور والجزئية.

حيث يجوز القول إن النخبة العربية الثقافية من خلال أزمتها في علاقتها مع الثقافة الأوربية قد عكست ذلك على الرواية الفلسطينية، بالحذف أو التمركز حول جانب واحد للرواية الفلسطينية لتصبح الرواية الفلسطينية مأزومة في الجغرافيا الثقافية الخاصة بها، خاصة وأن معظم المشاريع الثقافية للتيارات الفكرية والسياسية العربية في القرن العشرين قد تفككت أو ثبت عجزها، وكانت معظمها رد فعل (مع اليمين الديني) أو مجرد انعكاس باهت (اليسار والليبرالية) للمسألة الأوربية، كما أن الثورات العربية كشفت اليمين الديني فلا يكفى أن تطور نظرية مطلقة مضادة للمسألة الأوربية تستند إلى السماء دون مهارات سياسية أو اجتهادات فكرية حقيقية، وكشفت اليسار والليبرالية فلم يستطيعا التعبير عن تطلع الناس للانعتاق من الشعارات الجوفاء القديمة إرث المسألة الأوربية واستقطاباتها.. الكل الآن عاجز لا يملك القدرة على الاعتراف بذلك أو البحث

عن نظرية وجودية جديدة فيما بعد المسألة الأوربية، يعيشون على ذكريات نفسية مريحة عن النضال القديم، لكن هذه النخبة الثقافية ليس لديها البنية النفسية لتقديم جديد لقد تم استهلاكها، والأمل في نخبة ثقافية جديدة تتحمل مسئولية المستقبل.

ورغم التعاطف الذي يبديه المثقفون العرب والمصريون على وسائل التواصل الاجتماعي، إلا أن المشكلة الجادة الآن حقيقة في الصراع بين الفلسطينيين وبين جيش الاحتلال؛ هي الصراع على امتلاك رواية وسردية عادلة وحاضرة في المحافل الدولية، ومواجهة أدبياتها المعادية لنا وصورها النمطية وبديهياتها الفكرية، لإن دولة دولة الاحتلال "إسرائيل" تقدم رواية تستمد قوتها "الجغرافية الثقافية" من رواية المسألة الأوربية ووهم المركزية والسيادة الحضارية المطلقة، وهي رواية شديدة التجذر في تصورات الماركسية والليبرالية والوجودية وألمانيا ما بعد النازية، كل هؤلاء يقدمون مشروع احتلال فلسطين بوصفه العدالة الغائبة ليهود أوربا المضطهدين وحقهم في الحياة! دون اعتبار لحق الفلسطينيين العرب في الحياة!

ولم يقدم المثقفون العرب روايات مضادة تفكك تصورات الصهيونية في حاضنتها الأوربية، سواء في "الصهيونية الماركسية"، أو "الصهيونية الليبرالية" بروافدها، أو "الصهيونية الوجودية" عند سارتر، أو صهيونية" ألمانيا ما بعد النازية".. كل تيار سياسي أو ثقافي/ فلسفي/ أيديولوجي عربي يداري على الجذور الكامنة والراسخة للصهيونية في هذا التيار الذي ينتمي له، فأخفى كل منهم جزءا من الرواية المركزية للصهيونية لنصطدم الآن بالحائط الصلب للدعم الغربي لمذابح جيش الاحتلال بحجة الدفاع عن النفس! ورغم تقديم البعض نقدا مركزيا للصهيونيات الأوربية أو الروايات الفكرية الأوربية التي تدعم إسرائيل؛ إلا أن التمثلات الثقافية العربية تعمدت عدم الاهتمام بها لأنها تكشف القصور أو الأخطاء التي وقعت فيها تلك التيارات العربية، واكتفى كل تيار بشعارات خاصة به في مواجهة الصهيونية تصلح للاستهلاك المحلي، لكنها لا تصلح لمواجهة المركزية الأوربية في تبنيها للصهيونية ومشروعها الوجودي.

وتبدو أزمة الثقافة العربية والمصرية أنها تعيش على ذكريات القرن العشرين وشغف البدايات الأولى، دون حتى أن تقدم رؤية نقدية لتلك البدايات أو تسعى لتقديم رؤى وأفاق جديدة للذات العربية في القرن الحادي والعشرين، وفي المقابل هناك روايات نمطية للاستقطاب الداخلي؛ فمن يسعى للانتصار للرواية الفلسطينية والحق العربي فيها يقدمون له صورة نمطية مسبقة بأنه يريد الحرب وتوريط العرب في ذلك! والحقيقة أن أي حرب دون رواية متعاطفة معها، أو أي قوة

خشنة في العموم دون قوة ناعمة تحميها وتمنحها مظلة للعمل بها؛ سيكون مصيرها الأزمة والتفكك والتحلل مهما كانت الموارد التي تم استثمارها فيها.

خاتمة:

تتبعت الدراسة مسار الصراع الناشئ عن عملية طوفان الأقصى وحرب غزة التي تلتها؛ وتمثلاتهما على مستوى فلسطين المحتلة التاريخية ذاتها مع دولة الاحتلال، وعلى المستوى الإقليمي وتدافعاته، وعلى المستوى الدولي وتشابكاته، وكشفت أن الصراع الجيوثقافي على فلسطين لها تمثلاته الإقليمية التي مركزها رواية صفقة القرن والاتفاقيات الإبراهيمية التي كشفت الحرب عنها فجاة، مع تصريح ممثلي دولة الاحتلال المتكرر بإزاحة الفلسطينيين وتهجيرهم من غزة ومن الضفة، أهل غزة إلى سيناء وأهل الضفة إلى الأردن، وأدت الحرب إلى ظهور موقف مصري جديد صلب يرفض إزاحة الفلسطينيين إلى سيناء، ورصدت الدراسة التدافع الدبلوماسي بين مصر وبين حكومة الاحتلال وجيشها حول مدينة رفح الفلسيطنية ومحور صلاح الدين/ فيلادلفيا.

ورصدت كذلك السردية الجيوثقافية أو الدعم الذي نالته المقاومة الفلسطينية من الجغرافيا الثقافية التي تمددت فيها السردية الشيعية المرتبطة بإيران، في كل من لبنان والعراق واليمن، وكذلك رصدت جذور الدعم الأمريكي والغربي لدولة الاحتلال باعتبارها ممثل سردية الحضارة المطلقة الغربية، سواء قديما مع الصهيونية الماركسية أو الليبرالية أو الوجودية، أو حديثا مع خلال الاستقطاب الجديد بين قوى الأوراس الجدد أو روسيا وحليفتها الصين ومن معهم، وبين قوى الأطلسية أو أمريكا والغرب ومن معهم، باعتبار "إسرائيل" تمثل قوى الأطلسية في تلك السردية الجيوثقافية الجديدة.

وقد طرحت الدراسة تصورا أو مقاربة ترى أن حل القضية الفلسطينية ومشكلتها لابد أن ينطلق من فرضية تعيد تأسيس الجغرافيا الثقافية العربية وثوابتها، مقدمة تصورا وتفسيرا لجرأة دولة الاحتلال على الجغرافيا السياسية المصرية وإزاحة الفلسطينيين إلى سيناء، يرى أن السبب في ذلك هو تفكك رواية الجغرافيا الثقافية المصرية مع اتفاقية السلام (كامب دافيد)، ثم تفجير التناقضات الإقليمية المحيطة بمصر في عهد إدارة دونالد ترامب، لكي تمرر مصر أو تغض الطرف عن صفقة القرن في طبعتها الأولى، لتؤكد الدراسة على تصورها أن استعادة ثوابت

الجغرافيا الثقافية المصرية وارتباطها بمستودع الهوية العربي وفي القلب منه قضية فلسطين وثوابتها، هو الأساس الصلب لكي يحترم العالم الجغرافيا الثقافية الفلسطينية وسرديتها، ويحترم الجغرافيا الثقافية العربية وسرديتها عموما، ويحترم الجغرافيا السياسية لمصر في سيناء على وجه الخصوص.

ورصدت الدراسة ارتباك سردية الجغرافيا الثقافية الغربية في دعمها لإسرائيل وضعف منطقها وحجتها العقلية؛ من خلال عدة مواقف شملت ربط بايدن بين حرب جيش الاحتلال في غزة وبين حرب بوتين في أوكرانيا، وشملت تصوير نتانياهو ما جرى في يوم 7 أكتوبر 2023م بوصفه امتدادا لعقدة الاضطهاد النازي ليهود أوربا، وأن الفلسطينيين يمثلون النازيين الجدد، والعديد من المواقف الأخرى التي تدعم مقاربة الدراسة بأن الصراع على فلسطين هو صراع في الجغرافيا الثقافية، أي أن تمدد دولة الاحتلال ووجودها في الجغرافيا العربية هو فعل للجغرافيا الثقافية الغربية باعتبار الصهيونية تمثل الحضارة الغربية في الشرق العربي، وتستحضر تمثلات الصراع الجيوثقافي بإرثه الغربي المتعدد، سواء بأوهام جيوثقافية ترى أن المشروع الصهيوني هو الحل لاضطهاد أوربا وهتلر ليهود أوربا القدامي، أو بأوهام ترى المشروع الصهيوني واحة ليبرالية ديمقراطية تحاربها قوى فلسطينية رجعية تقف على المساواة مع بوتين وروسيا!

وقدمت الدراسة أيضا نقدا للسردية العربية في دعمها للجغرافيا الثقافية الفلسطينية وروايتها؛ مستندة إلى ضرورة تجاوز السردية العربية مواقف التعاطف العام الرومانسي والمجمل، وأهمية تطوير سردية جديدة تدعم الحق الفلسطيني وتواجه جذوره الجيوثقافية التي تأتي من الغرب والحضارة الغربية، سواء قديما مع تصورات الصهيونيات الماركسية والليبرالية والوجودية (في القرن الـ20)، أو حديثا مع توظيف القضية في الصراع العالمي الجديد بين سردية الأوراس الجدد التي تقدمها روسيا في مواجهة سردية القوى الأطلسية أو غرب أوربا وأمريكا (في القرن الـ21)، مؤكدة أن الذات العربية في حاجة ملحة إلى مشروع جيوثقافي جديد لتنتصر في راويتها للحق الفلسطيني؛ يتجاوز تفكك المشاريع القديمة إرث القرن العشرين سواء مشروع الخلافة الإسلامية أو مشروع القومية العربية، وأن هذا المشروع الجيوثقافي الجديد يجب أن يضطلع بمسئولياته في مواجهة التحديات الجديدة والمشاريع الجيوثقافية المنافسة للذات العربية، ويكتسب مهارة إدارة التناقضات على المستوى الإقليمي والدولي.

هوامش الدراسة:

[1] - راجع التصريحات التي تناقلتها المنصات الإخبارية للوزير إيتمار بن غفير بتاريخ 2024/2/22م
جريدة الشروق المصرية بتاريخ 2024/2/22م
https://www.shorouknews.com/news/view.aspx?cdate=22022024&id=a4471b4401-8359-36-ad-438bf6468ad1fe
وكذلك تصريحات سميتريتش المنشورة في موقع آي 24 نيوز بتاريخ 2023/3/20م قبل الحرب
https://www.i24news.tv

[2] - موقع الحدث الإخباري التابع لقناة العربية؛ بتاريخ 2023/12/26م
https://www.alhadath.net/2023/12/26

[3] - موقع فرانس 24 الإخباري بتاريخ 22 يناير 2024م.
https://www.france24.com/ar

[4] - موقع يورونيوز الإخباري بتاريخ 2023/10/11م
https://arabic.euronews.com/2023/10/11/israel-pm-netanyahu-calls-us-president-biden-to-thank-him-for-his-support-after-hamas-atta

[5] - المرجع السابق

[6] - موقع سكاي نيوز الإخباري الإماراتي بتاريخ 2023/11/8م
https://www.skynewsarabia.com/world/1667911

[7] - جريدة اليوم السابع المصرية بتاريخ 2023/11/5م
https://www.youm7.com/story/2023/11/5

[8] - جريدة اليوم السابع المصرية بتاريخ 31/ 10/ 2023م
https://www.youm7.com/story/2023/10/31

[9] - جريدة الشرق الأوسط بتاريخ 21 نوفمبر 2023م
https://aawsat.com

[10] - موقع روسيا توداي الإخباري الروسي بتاريخ 2023/10/10م
https://arabic.rt.com/middle_east/1502221

[11] - جريدة الشرق الأوسط، بتاريخ 22أكتوبر 2023م,
https://aawsat.com

[12] موقع البي بي سي العربي، بتاريخ 3نوفمبر 2023م
https://www.bbc.com/arabic/live/67293192

[13] - موقع فرانس 24 الإخباري بتاريخ ، 2023/11/20م
https://www.france24.com/ar

[14] - وكالة أنباء الجمهورية الإسلامية (الإيرانية) بتاريخ 2023/10/15م
https://ar.irna.ir/news/85258613

[15] - موقع الشرق نيوز الإخباري بتاريخ 2023/11/18م
https://asharq.com/politics/

[16] - المرجع السابق